2me Année, No. 66.

Lundi-8-10-1934

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم | ٤٢٣٩٠
| ٤٠٥٣٠

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

م	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

العـدد ٦٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ جمادى الثانية سنة ١٣٥٣ — ٨ أكتوبر سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

نهضتنا الاقتصادية

بمناسبة النمو العجيب فى شركة مصر للغزل والنسج

نهضتنا الأقتصادية هى وحدها الدليل الناهض على نضوج شعبنا المظلوم . لأنها نَسَق من الضرورة والقدرة والنظام والثقة قائم بذاته لا يقوم على الهوى ، ولا ينتظم على الطيش ، ولا يصبر على الفساد ، ولا يتقدم على العجز ، ولا يبلغ شيئاً وراء الزعامة الرخوة . فبينما نجد النهضة السياسية تنتكس فترجع الى الموت ، والحالة الأخلاقية تنحل فتعود الى المهانة ، والحركة الأدبية تضطرب فتنقلب الى الفوضى ، وحمية الشباب تنكسر فترتد الى الفتور ، نجد هذا الركن القوى الذى يقوم على بنك مصر وشركاته يثبت أصله فى الأرض ، ويسمو فرعه فى السماء ، ويمسك هذا الوطن المنكود فى مهب الأزمات ومضطرب الكوارث . واطراد النجاح فى هذا العمل الشعبى الخالص مبعثه إخلاص القادة ، وثقة الأمة ، وضمان من الله يسميه الدين إيمانا ، والخلق ثباتاً ، والعلم كفاية ، ونسميه نحن : طلعت حرب

إن هذا اللحن الذى يتألف من صريف الأموال المصرية فى (البنك)، وهدير البواخر المصرية فى البحر، وأزيز الطوائر المصرية فى الجو، ودوى المصانع المصرية فى (المحلة)، لهو النشيد القومى القوى الذى يعلن استقلال البلاد، ويملأ مسامع الأجانب، وينبه مطامع الشعوب الى أن هنا أمة حية لها ماض تستهديه، ووطن تستغله، وغرض تسعى اليه؛ وأن هـذا التوسع المطمئن الحازم فى شركة مصر للغزل والنسج فى الوقت الذى تُتَّهم فيه كفاية البلد، وتطير الشائعات السود فى جو السياسة، تصحيح للأفهام الأجنبية التى تحاول استنتاج الحقيقة المصرية من أخطاء جماعة

***

كان نجاح شركات (بنك مصر) نجاحاً حقيقياً طبيعياً يطَّرد اطراد الزمن من غير بطء ولا طفرة. ولكن نجاح هذه الشركة — شركة مصر للغزل والنسج — وهى كأخواتها مصرية الرجال والأموال والعمال والمادة، جاوز حدود الظن، وفات معاقد الأمل؛ فقد أنشئت منذ ثلاث سنوات وعدد أنوالها ٤٤٨ نولاً فأصبح اليوم أربعة آلاف، وعدد مغازلها اثنا عشر ألف مغزل فبلغ هذا العام خمسين ألفاً، وعدد عمالها ستة آلاف فأصبح مع هذا التوسع ثمانية عشر ألفاً، وكانت مصانعها تنشأ بادئ الأمر على قدر الحاجة، فبسطها النجاح السريع، والفرص المواتية، والادارة الرشيدة، حتى بلغت مساحة الأرض التى تقوم عليها اليوم مائة فدان؛ وكان عملها مقصوراً على غزل القطن المصرى ونسجه، فصنعت الآن (الدوبارة، والفانلات، والجوارب، وبكر الخيط، والقطن الطبى). فأصبحت بهذا النمو العجيب فى هذا الوقت القريب من أكبر المصانع العالمية.

عمل جسيم من أعمال الادارة والفن، غزت به هذه الشركة ميادين الاقتصاد فى البلاد، وفتحت الطرق الموصدة أمام الرءوس المصرية، والأيدى المصرية، لتفكر بنفسها، وتعمل لنفسها، وتنسج من القطن المصرى الجميل: مجد الكنانة واستقلال النيل.

***

هذه هى الوطنية المثمرة بوسيلتها وغايتها. فأما ثمرة وسيلتها فتوظيف الأموال المصرية فى أضمن مكان وأربح مورد، وتخفيف العطلة باستخدام هذا الجيش الكثيف من العمال وما يتبعه من مرشدين ومهندسين وكتبة، واستهلاك مقدار من القطن المصرى قد يربو على خمسمائة ألف قنطار، ثم نشر الثقافة الآلية الحديثة فى هذه الصناعة بمن ترسله من البعوث الى أوربا، ومن تدربه من الاحداث فى المصانع. وأما ثمرة غايتها فدفع هـذا الاحتلال الاقتصادى الذى أفقر البلاد وأذل الشعب، وحبس أموالنا فى بلادنا حتى لا تخرج ذهباً من أيدينا لترجع حديداً فى أرجلنا، وانماء العزة القومية بشعور المصرى انه يلبس من زرعه ومن صنعه، وترفيه الحياة المصرية بكثرة الانتاج ووفرة المكسب وتوزيع الثروة، ثم تمكين النفوذ المصرى فى الأسواق الشرقية والأقطار العربية، وذلك مجد ورثناه ثم حرمناه منذ طويل.

***

قَدَرت الأمة الرشيدة غاية هـذه الشركة، وعقدت آمالها بمستقبلها، وأخلدت بثقتها إلى رجالها، فلم تضن عليها بالعطف والمساهمة. وآية ذلك أنها أصدرت منذ ثلاثة شهور ١٧٥٠٠ سند بثلاثمائة وخمسين ألف جنيه بفائدة ٥٪ فبيعت كلها على رغم هذه الأزمة! وهاهى ذى تريد اليوم أن تطرح للاكتتاب العام خمسة وسبعين ألف سهم اقتضاها نمو المشروع، واتساع العمل، والتقدير الدقيق لحاجة البلاد، وضرورة التصدير، وضمان المستقبل.

ولا ريب أن الأمة التى تئن أنين الأسير العانى من الاحتلال والاستغلال والامتيازات، لا تنى عن تعضيد هذه الشركة وأخواتها بالأموال والآمال بعد ماعلمت بدلائل التجربة وشواهد الواقع أنها أنجع الوسائل وأخصر الطرق لادراك الاستقلال الصحيح ما

وزعنا مع العدد الماضى فهرس المجلد الاول من السنة الثانية، فمن لم يصله فليطلبه من الادارة

أرملة حكومة...

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

(أرملة الحكومة) فيما تواضعنا عليه بيننا وبين قرائنا (١) هو الرجل العَزَب، يكون مُطيقاً للزواج قادراً عليه ولا يتزوج؛ بل يركب رأسه في الحياة، ويذهب يُمَوِّه على نفسه كذبا وتدليساً، وينتحل لها المعاذيرَ الواهية، ويَتَمَحَّلُ العللَ الباطلة، يحاول أن يُلْحِق نفسه بمرتبة الرجل المتزوج من حيث يَحُطُّ الرجلَ المتزوجَ إلى مرتبته هو؛ ويضيف شؤمَه على النساء إلى هؤلاء النساء المسكينات، يزيدهن على نفسه شرَّ نفسه؛ ويرميهنّ بالسوء وهو السوءُ عليهن، ويَتَنَقَّصُهُنّ ومنه جاء النقص، ويَعيبهُنّ وهو أكبر العيب؛ لايتذكر إلا الذى له، ولايتناسى إلا الذى عليه، كأنما انقلبت أوضاع الدنيا، وتبدلت رسومُ الحياة، فزالت الرجولة بتبعاتها عن الرجل إلى المرأة، وانفصلت الأنوثة بحقوقها من المرأة إلى الرجل، فوجب أن تَحمل تلك ماكان يحمل هذا، فتُقْدِمَ ويَفِرَّ وادعاً، وتتعب ويستريح، وتعانيَ الهمومَ السامية فى الحياة الاجتماعية، ويعانيَ المخنَّثُ ابتساماته ودموعَه، متكئاً فى مجلسه النسيميّ تحت جَناح المِرْوحة... فأما المرأة فتشرف على هَلَكَتِها، وتخاطرُ بحاضرها ومستقبلها، وأما هو فيبقى من ثيابه فى مثل الخِدْر المَصُون...!

(أرملة الحكومة) هو ذلك الشاب الزائف المُبَهْرَج، يُحْسَبُ فى الرجال كذبا وزوراً؛ إذ لا تكمل الرجولةُ بتكوينها حتى تكمل بمعانى تكوينها، وأخصّ هذه المعانى إنشاءُ الأسرة والقيامُ عليها، أىْ مغامرةُ الرجل فى زمنه الاجتماعىّ ووجوده القومىّ، فلا يعيش غريباً عنه وهو معدود فيه؛ ولا طُفَيْلياً فيه وهو كالمنفيّ منه، ولا يكون مَظْهراً لقوة الجنس القوى هاربة هروب الجبن من حَمْل ضعف الجنس الآخر المحتمى بها، ولا لمروءة العشير مُتَبَرِّئَة تَبَرُّؤَ النذالة من مؤازرة العشير الآخر المحتاج إليها؛ ولا يرضى لنفسه أن يكون هو والذل يعملان فى نساء أمته عملاً واحداً، وأن يصبح هو والكساد لا يأتى منهما إلا أثرٌ متشابه، وأن يبيت هو والفناء فى ظُلمةٍ واحدة كظلمات القبر، تنقل الأحداثَ إلى الدور، فتجعل البيت الذى كان يقتضيه الوطنُ أن يكون فيه أبٌ وأمٌّ وأطفال — بيتاً خاوياً كأنما ثكل الأم والأطفال، وبقيت فيه البقية من هذا الرجل العَزَبِ الميت أكثرُ تاريخه...!

لقد رأيت بعينيّ أداةَ العزب وأثاثه المبعثر فى بيته، كأنما يقصّ عليه كلٌّ ذلك قصةَ شؤمه ووحدته، وكأنما يقول له الفَرْش والنَّجْدُ والطراز: «بعنى يارجل وردَّنى إلى السوق؛ فانى هنالك أطمع أن يكون مصيرى إلى أب وأم وأولاد، أجدُ بهم فرحةَ وجودى، وأصيب من معاشرتهم بعض ثوابى، وأبلى تحت أيديهم وأرجلهم فأكون قدعملت عملاً انسانياً. أما عندك فأنت خشبة مع الخشب، وأنت خِرْقة بين الخِرق. واسمع الكرسىّ إنه يقول: أفّ. وأصغ إلى فراشك انه يقول: تفّ..»

شهد العزبُ وربُّ الكعبة على نفسه أنه مُبْتَلًى بالعافية، مستعبدٌ بالحرية، مجنون بالعقل، مغلوب بالقوة، شقى بالسعادة. وشهدتْ الحياة عليه ورب البيت أنه فى الرجولة قاطع طريق يقطع تاريخها ولا يؤمِّنُه، ويسرق لذاتها ولا يكسبها، ويخرج على شرْعها ولا يدخل فيه، ويعصى واجباتها ولاينقادلها. وشهد الوطن — والله — عليه أنه مخلوق فارغ كالواغل على الدنيا؛ إن كان نعمةً بصلاحه، انتهتْ النعمةُ فى نفسها لاتمتد؛ وإن كان بفساده مصيبةً امتدتْ فى غيرها لا تنقطع. وأنه شحّاذ الحياة أحسن به الأجداد نسلاً باقياً، ولا يُحْسن هو بنسل يبقى، وأنه فى بلاده كالأجنبى، مهبطه على منفعةٍ وعيشٍ لاغيرهما، ثم يموت وجودُ الأجنبى بالنَّقْلَةِ إلى وطنه، ويموت وجودُ العزب بالانتقال إلى ربه؛ فيستويان جميعاً فى انقطاع الأثر الوطنىّ، ويتفقان جميعاً فى انتهاب الحياة الوطنية، وأن كليهما خرج من الوطن

(١) أنظر مقالة «استنوق الجمل» بالعدد ٦٤ من الرسالة. والتاء فى «أرملة الحكومة» ليست للتأنيث، بل هى تاء جديدة فى العربية، تزاد فى هذه الكلمة خاصة، واسمها تاء الهزؤ... ويا حبذا لو اصطلح النساء والفتيات والمتزوجون جميعاً على تسمية كل رجل عزب «أرملة حكومة» فان هذا الاسم إذا عم وشاع كان فى معناه وفعله المطهر حامضاً لغوياً كحامض الفنيك...!

أبتر لاعقب له ، ويذهبان معاً فى لجج النسيان : أحدهما على باخرة ، والآخر على النعش !

***

جاءنى بالأمس « أرملة حكومة » وهو مهندس موظف . ومعنى الهندسة الدقة البالغة فى الرقم والخط والنقطة وما احتمل التدقيق ؛ ثم الحذر البالغ أن يختل شىء أو ينحرف ، أو يتقاصر أو يطول ، أو يزيد أو ينقص ، أو يدخله السهو ، أو يقع فيه الخطأ ؛ إذ كان الحاضر فى العمل الهندسى إنما هو للعاقبة ، وكان الخيال للحقيقة ؛ وكان الخرق هنا لا يقبل الرقعة . ومتى فصلت الأرقام الهندسية من الورق إلى البناء مات الجمع والطرح والضرب والقسمة ، ورجع الحساب حينئذ وهو حساب عقل المهندس ؛ فاما عقل دقيق منتظم ، أو عقل مأفون مختل .

بيد أن المهندس — على ما ظهر لى — قد خلت حياته من الهندسة . . . وانتهى فيها من التحريف المضحك — حتى فيما لا يخطىء الصغار فيه — إلى مثل التحريف الذى قالوا إنه وقع فى الآية الكريمة « إياك نعبد وإياك نستعين . » فقد رووا أن إمام قرية من القرى فى الزمن القديم كان يخطب أهل قريته ويصلى بهم فى مسجدها ، فنزل به ضيف من العلماء فقال له الخطيب : إن لى مسائل فى الدين لم يتوجه لى وجه الحق فيها ، ولا أزال متحير الرأى ، وكنت من زمن أتمنى أن ألقى بها الأئمة فأريد أن أسألك عنها . قال العالم : سل ما أحببت .

قال الخطيب : أشكل علىّ فى القرآن بعض مواضع ، منها فى سورة الحمد « إياك نعبد وإياك » . . . أى شئ بعده . « تسعين ، أو سبعين » . . ؟ أشكلت علىّ هذه فأنا أقرؤها : تسعين ، أخذاً بالاحتياط . . !

كذلك مهندسنا فيما أشكل عليه من حسابه للحياة ، فهو عزب أخذاً بالاحتياط . قال وهو يحاورنى :

كيف تكلفنى الزواج وتكرهنى عليه ، وتعنفنى على العزوبة وتعيبنى بها ؛ وإنما أنت كالذى يقول : دع الممكن وخذ المستحيل . إن استحالة الزواج هى جعلتنى عزباً ، والعزوبة هى جعلتنى فاسداً ، وفى هذا الجو الفاسد من حياة الشباب إما أن تكسد الفتاة ، وإما أن تتصل بها العدوى . والعزب لا يأبى أن يقال فيه إنه للنساء طاعون أحمر أو هواء أصفر ؛ فهو والله مع ذلك موت أسود وبلاء أزرق .

قلت : لقد هوّلت علىّ ؛ فما مستحيلك يا هذا ، ولِمَ استحال عليك ما أمكن غيرك ، وكيف بلغت مصر خمسة عشر مليوناً ؟ أمن غير آباء خلقوا ، أم زرعوا زرعاً فى أرض الحكومة ؟ إسمع — ويحك — ألا يكون الرجال قد أقبلوا وتراجعت ، وتجلدوا وتوجعت ، أو أقدموا وخنست ، واسترجلوا وتأنثت ؟

قال : ليس شئ من هذا .

قلت : فان المسألة هى كيف ترى الفكرة ، لا الفكرة نفسها ، فما حملك على العزوبة وأنت موظف وظيفتك كذا وكذا ديناراً ، وأنت مهندس يصدق عليك ما قالوه فى الرجل المجدود : لو عمد إلى حجر لانفلق له عن رزق .

قال : أليس مستحيلاً ثم مستحيلاً أن يجمع مثلى بده عو مائة جنيه يدفعها مهراً ؛ وما طرقت — علم الله — بابا إلا استقبلونى بما معناه : هل أنت معجزة مالية ، هل أنت مائة جنيه !

قلت : فان عملك فى الحكومة يغل عليك فى السنة مائة وثمانين ديناراً فلم لا تعيش سنة واحدة بثمانين فتقع المعجزة !

قال : « بكل أسف » لا يستطيع الرجل العزب أن يدخر أبداً ؛ فهو فى كل شئ مبدد ضائع متفرق .

قلت : فهذه شهادتك على نفسك بالسفه والخرق والتبذير ؛ تنفق ما يكفى عدداً وتضيق بواحدة ، وماذا يرتئى مثلك فى الحياة ؟ أعند نفسه وفى يقينه أن يتأبد فيبقى عزباً فهو ينفق ما جمع فى شهوات حياته ، ويتوسع فيها ضروباً وألواناً ، ليكون وهو فرد كأنه وهو فى إنفاقه جماعة ، كل منهم فى موضع رذيلة أو مكان لهو ؛ وكأن منه رجالاً هو كاسبهم وعائلهم ، ينفق على هذا فى القهوة ، وعلى هذا فى الحانة ، وعلى ذلك فى الملاهى ، وعلى الرابع فى المواخير ، وعلى الخامس فى المستشفى . . . ؟ إن كان هذا هو أصل الرأى عند العزب ، فالعزب سفيه مجرم ، وهو إنسان خرب من كل جهة إنسانية ، وهو فى الحقيقة ليس المتسع لنفقات خمسة ، بل كأنه قاتل خمسة من أبناء وطنه !

[البقية على صفحة ١٦٧٩]

عصبة الأمم والأمم الشرقية

لمناسبة انضمام أفغانستان إليها

للأستاذ محمد عبد الله عنان

انتظمت فى سلك عصبة الأمم دولة شرقية جديدة هى أفغانستان، وكان قبولها فى العصبة باجماع الآراء تقريباً، ولم يبق خارج العصبة من أمم الشرق الأدنى والأوسط بعد دخول تركيا وافغانستان سوى مصر وسوريا والمملكة السعودية واليمن. ولعلائق الأمم الشرقية بعصبة الأمم وموقفها منها تاريخ خاص، يصح أن نستعرضه بهذه المناسبة. وقد بدأت هذه العلائق منذ مولد العصبة ذاتها، وكانت العصبة يومئذ إحدى نفثات ذلك الانجيل الجديد الذى بشر به توماس ودرو ولسون أعظم ذهن هائم فى التاريخ المعاصر، والذى انهارت مبادؤه ووعوده فى فرساى مهد تطبيقه. كان انجيل الصلح بين الأمم المتحاربة على قواعد التسامح والعدالة، وانجيل السلام والتفاهم، وانجيل الحريات الدولية والاعتراف بحقوق الشعوب فى تقرير مصايرها، فاستحال فى فرساى، وفى نصوص معاهدة الصلح، الى بركان من الشهوات القوية، ومزقت باسمه شعوب، وأرهقت أخرى، ومنحت الحرية لشعوب، وسلبت أخرى حرياتها، وفرضت عليها العبودية بأسماء وصور جديدة. وكان المفروض أن عصبة الأمم ستغدو عصبة دولية انسانية تجمع الأمم على احترام السلام والمثل الانسانية الخالدة، ولكنها جاءت منذ مولدها نفثة من تلك الروح التى أملت معاهدة الصلح؛ روح الظفر والأثرة؛ وكان موقفها من الأمم الشرقية بالأخص مناقضاً لجميع العهود التى قطعت، والمبادىء التى قررت.

كانت اليابان والصين والهند وسيام والحجاز هى الأمم الشرقية التى وقعت على ميثاق عصبة الأمم ومعاهدة الصلح (وميثاق العصبة هو القسم الأول من المعاهدة) منذ وضعهما فى يونيه سنة ١٩١٩، وبذلك غدت أعضاء فى العصبة منذ إنشائها، وقد أبى الوفد الصينى أن يوقع معاهدة الصلح احتجاجاً على بعض نصوصها التى تمنح الانتداب لليابان على بعض الأراضى الصينية التى كانت بيد ألمانيا، ولكن الصين اعتبرت عضواً فى العصبة لأنها وافقت على الميثاق. أما الحجاز فقد كانت يومئذ هى المملكة العربية الجديدة التى أنشأها الانكليز للحسين بن على، والتى انهارت قبل أعوام قلائل. وكانت فارس من الأمم التى دعيت الى دخول العصبة منذ إنشائها، وقد انضمت اليها غير بعيد، وأما تركيا فقد كانت من أمم الأعداء، وكان مقضياً عليها بالتمزيق والاعدام، وكانت افغانستان تخوض يومئذ حرب الحرية مع الانكليز. وأما العراق وسوريا وفلسطين، فقد كانت من ضحايا الانتداب الذى ابتدع لتوزيع أسلاب الدولة العثمانية الذاهبة على الحلفاء. وكانت مصر ضحية الحماية الانكليزية التى أعلنت عليها قسراً أيام الحرب، وكانت تضطرم بثورتها التحريرية التى انتهت بعد ذلك بعامين بالغاء انكلترا للحماية واعلان استقلال مصر من الوجهة النظرية. والواقع أنه لم يكن للشرق فى العصبة عند قيامها سوى صوت قوى واحد هو صوت اليابان. ولكن اليابان كانت من دول الحلفاء، وكان دخولها فى العصبة لتأييد نفس المبادىء وتحقيق نفس الغايات التى تؤيد وتعمل على تحقيقها الدول الغربية، وكان لها نصيبها من أسلاب الحرب، ولم تكن فى سياستها الاستعمارية أقل شرهاً من انكلترا أو فرنسا. وأما الصين فقد كانت تتخبط فى غمار الحرب الأهلية، وكان تمثيلها فى العصبة على يد وحدة صغيرة فيها هى جمهورية كنتون الناشئة. وأما الهند فقد دخلت باعتبارها من الأملاك البريطانية لتشد الى جانب استراليا وكندا وجنوب أفريقية أزر بريطانيا العظمى فى سياستها ومشاريعها داخل العصبة. ودستور العصبة يجيز دخول الأملاك المستقلة والمستعمرات الحرة. وأما الحجاز فلم تكن لها يومئذ أية أهمية سياسية أو دولية، ولم يكن مثولها فى مؤتمر الصلح، ودخولها فى العصبة إلا ضرباً من المجاملة النظرية.

كانت عصبة الأمم منذ قيامها إذاً هيئة غربية فى روحها وفى جوهرها، ولم تكن تمثل من الوجهة العملية شيئاً من المبادىء الرنانة التى أعلنها الرئيس ولسون فى ختام الحرب، والتى أريد أن تكون قاعدة لعقد الصلح الحر بين الأمم المتحاربة وقيام عصبة حرة من الأمم تعمل على تخليد مبادىء الحرية والعدالة

والوئام فيما بينها ، ومع ذلك فقد بعثت مبادىء الرئيس ولسون المتعلقة بحريات الأمم ومصير الشعوب فى بعض الأمم المغلوبة شيئاً من الأمل ، وكان مفروضاً أن ذلك الهيكل الجديد الذى أقيم ليعاون فى تطبيق هذه المبادىء الخالدة — أعنى عصبة الأمم — سيكون بالفعل سنداً للأمم الشرقية فى جهادها فى سبيل الحرية والاستقلال ، ولكن ذلك الأمل كان وهماً ، وجاءت عصبة الأمم بالعكس لتقر من المبادىء والأساليب إزاء بعض الأمم الشرقية مايخالف كل عدالة وكل حق وكل عهد مقطوع .

ونذكر بهذه المناسبة أن الوفد المصرى برئاسة المغفور له سعد زغلول باشا كان يوم وضع معاهدة الصلح فى باريس يعمل فى سبيل القضية المصرية ، وقد احتج عبثاً على نصوص معاهدة الصلح التى تمس مصر ، والتى تقر حماية انكلترا المفروضة عليها رغم ارادتها ؛ ونذكر أيضاً أن سعد باشا أرسل الى الرئيس ولسون يرجوه باسم مبادئه مقابلة يبسط له فيها ظروف القضية المصرية ، فلم يجبه الرئيس ولسون الى هذا الرجاء . وكانت أول خطوة عملية اتخذتها عصبة الأمم لتأييد الاعتداء الواقع على الأمم العربية هو أنها أقرت نظام الانتداب الذى وضعه الحلفاء لتقسيم البلاد العربيـة وحكمها رغم العهود الصريحة التى قطعت خلال الحرب بمعاهدات ووثائق رسمية ، فأقرت الانتداب على سوريا لفرنسا ؛ وأقرت انتداب انكلترا على فلسطين وشرق الأردن والعراق ؛ وأقرت عهد بلفور وما ترتب عليه من إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ؛ ولم تحاول العصبة أن تتدخل يوم قسم الحلفاء تركيا إلى مناطق ودفعوا اليونان لاحتلال أزمير والتوغل فى قلب الأناضول ؛ ولما وقع الخلاف بين تركيا وانكلترا على مسألة الموصل واتفقتا على رفع الأمر إلى عصبة الأمم ، كان موقف العصبة مريباً ظاهر التحيز ؛ وكثيراً ما حاولت الأمم العربية أن تتقدم إلى العصبة بالشكوى من نظام الانتداب وما يرتكب فى ظله من ضروب الجور والعسف ، فلم تفز منها بالاصغاء قط ؛ ولم تكن لجنة الانتدابات الدائمة بالعصبة إلا سيف المستعمر الشرعى مصلتاً على رقاب الأمم الواقعة تحت الانتداب .

هكذا كان موقف عصبة الأمم نحو الأمم الشرقية المغلوبة منذ البداية . وقد أثبتت العصبة خلال أعوامها الأربع عشرة أنها غير أهل لتحقيق شىء من المبادىء والمهام العظيمة ، التى عهد اليها بالعمل على تحقيقها . وأسطع مثل لذلك موقفها إزاء مسألة تخفيض السلاح ، وعجزها المطبق عن أن تحقق شيئاً فى هذا السبيل ، لأن تحقيقه لا يروق للدول المسيطرة على مجلس العصبة ؛ وأسطع مثل لوقوع العصبة تحت نفوذ الدول القوية ووحى النزعة الأستعمارية ، موقفها فى مسألة منشوريا ، التى ثارت منذ ثلاثة أعوام بين اليابان والصين ، وكلتاهما من أعضاء العصبة ؛ فقد استغاثت الصين بالعصبة حين غزو اليابان لمنشوريا ، فلبثت العصبة بين التردد والتمهل حتى تم استيلاء اليابان على منشوريا ولم تستطع أن تتخذ أى إجراء حاسم تنوه فيه باعتـداء اليابان على الأراضى الصينية ، مع أنه قد نص فى ميثاق العصبة على عدة عقوبات تأديبية واقتصادية يتقرر اتخاذها ضد الدولة المعتـدية فى مثل هذه الظروف . ولم ترض اليابان عن هذا التدخل رغم عقمه . فانسحبت من العصبة لتكون مطلقة اليدين فى تنفيذ سياستها الأستعمارية . وقد كان فشل العصبة فى مسألة منشوريا ذروة ضعفها وانحلال هيبتها ، فعملت الدول الغربيـة التى تستتر فى العمل وراء العصبة على تدارك هذا الضعف ، بحمل روسيا السوفيتية على الالتحاق بعصبة الأمم ، ولبت روسيا هذه الدعوة ، والتحقت بالعصبة بعـد أن كانت تخاصمها وتعتبرها من أدوات الأستعمار المستترة حسبما فصلنا فى فصل سابق فى « الرسالة » . وأرادت الدول الغربية من جهة أخرى أن تقوى المظهر الشرقى لعصـبة الأمم ، فسعت لدى تركيا حتى التحقت بالعصبة ، وكان التحاقها بها نتيجة مباشرة لانضمام روسيا اليها ، لأن السياسة التركية الخارجية تسير مع السياسة البلشفية الخارجيـة جنباً إلى جنب ، ولأن موقف الخصومة الذى اتخذته تركيا نحو العصبة من قبل لم يـكن إلا مجاراة لسياسة حليفتها موسكو . ثم كان دخول أفغانستان أخـيراً نتيجة أيضاً لنفس السياسة ؛ وأفغانستان تتأثر بنصائح موسكو ، وهى مدينة باستقلالها الأخير الى معاونة موسكو ومؤازرتها ، وهى تتأثر أيضاً بنصائح انجلترا ، وانجلترا يهمها تقوية المظهر الشرقى لعصبة الأمم ؛ ولذلك رأينا أغاخان مندوب الهند وأحد أبواق السياسة الأنكليزية يقول فى خطابه الذى ألقاه لمناسبة انضمام أفغانستان : إن أخطار الطابع الغربى للعصبة كانت واضحة ، وكانت دائما تغشى صبغتها

العالمية ، فدخول أفغانستان يقوى طابعها العالمى ، ويزيدها قوة فى القيام بمهمتها .

هذا ويجب ألا ننسى أن العراق أيضاً عضو فى عصبة الأمم ، وقد دخلت العصبة منذ نحو عامين ، وكان دخولها نتيجة لعقد المعاهدة العراقية الانكليزية التى نالت بها العراق استقلالها الذاتى (سنة ١٩٣٠) وخروجها بذلك من ربقة الانتداب الذى كان مفروضاً عليها من قبل عصبة الأمم لمصلحة انكلترا . ويجب ألا ننسى أن دخول العراق فى العصبة كان مقروناً من جانب العصبة بمظاهرة تؤكد صبغة العصبة الغربية والاستعمارية معاً ، فقد وضعت العصبة لقبول العراق شروطاً تلفت النظر بتحاملها وشدتها ، ولا سيما فيما يتعلق بحماية الأقليات الدينية والجنسية ، وحرية البعثات التبشيرية فى القيام بأعمالها ، وتقرير الحق لكل دولة أن تشكو العراق إلى العصبة إذا رأت أنها قصرت فى تنفيذ تعهداتها .

ولم تنضم المملكة السعودية (نجد والحجاز) بعد الى عصبة الأمم ، وليس فى سياستها ما يدل على أنها تنوى أن تسعى الى هذا الانضمام فى القريب العاجل ، غير أنه يلاحظ أن المملكة السعودية معترف بها من جميع الدول الكبرى التى تسيطر على مجلس العصبة ، وأن علائقها بهذه الدول ولا سيما انكلترا حسنة ؛ وقد يكون فى الحوادث الأخيرة التى انتهت بدخول تركيا وأفغانستان فى العصبة ما يحمل المملكة السعودية على التفكير فى السعى إلى الانضمام الى العصبة ، أما اليمن فليست لها سياسة خارجية منظمة معروفة ، ومن الصعب أن يعرف موقفها فى هذا الشأن ، وإن كان المرجح أن الأمام لا يعلق على مثل هذا الانضمام أية أهمية . أما سوريا فهى لا زالت ترزح تحت الانتداب الفرنسى ، ومن المعروف أن السياسة الفرنسية تنوى متى استطاعت أن تعقد المعاهدة المنشودة مع سوريا ، أن تحذو فيها حذو المعاهدة الانكليزية العراقية من حيث العمل على التحاق سوريا بعصبة الأمم .

***

بقيت كلمة عن مصر وعن موقفها من العصبة ، فأما عن حق مصر فى الدخول فى عصبة الأمم فليس عليه غبار من الوجهة الدولية ، أولاً لأن مصر قد نالت استقلالها من الوجهة الدولية بتصريح فبراير سنة ١٩٢٢ ، وهى طبقاً لهذا التصريح دولة مستقلة ذات سيادة ، وثانياً لأنه لا يوجد فى ميثاق العصبة ما يمنع دولة فى ظروف مصر السياسية من الانضمام اليها . فالفقرة الثانية من المادة الأولى من الميثاق تنص على أنه يحق لكل « دولة أو ملك مستقل (دومنيون) أو مستعمرة حرة فى حكم نفسها أن تغدو عضواً فى العصبة إذا وافق على انضمامها ثلثا أعضاء الجمعية العامة » ، ومصر ليست ملكا مستقلا ولا مستعمرة ، بل هى من حيث المركز الدولى دولة مستقلة ذات سيادة ، وقد سلمت السياسة البريطانية لمصر بهذا الحق فى مشروع المعاهدة المصرية الانكليزية الذى وضع سنة ١٩٢٩ ، فنص فيه فى المادة الثالثة على ما يأتى « إن مصر رغبة منها فى أن تصبح عضواً بجمعية الأمم ، ستقدم طلباً للانضمام إلى تلك الجمعية ، طبقاً للشروط التى تنص عليها المادة الأولى من عهد الجمعية ، وتتعهد حكومة جلالة الملك البريطانية بتأييد هذا الطلب » ونص فى مشروع المعاهدة المصرية الانكليزية الذى وضع سنة ١٩٣٠ على ما يأتى « بما أن مصر تنوى أن تكون عضواً فى جمعية الأمم فان صاحب الجلالة البريطانية يعترف بحقها كدولة مستقلة ذات سيادة فى أن تصبح عضواً فى جمعية الأمم عند ما تقوم بالشروط التى نص عليها فى عهد الجمعية »

ولكن هل تفيد مصر من الانضمام إلى عصبة جنيف سواء فى الحال أو الاستقبال ؟ لسنا ممن يعتقد ذلك . إن تاريخ عصبة الأمم إزاء الأمم الشرقية والأمم الضعيفة حسبما بسطناه لا يدلى بأن العصبة تأخذ بمبادئ المساواة والعدالة الدولية بين مختلف الأمم ؛ والعصبة سواء بنشأتها أو القوى المهيمنة عليها ، أو الغايات التى تعمل لها ، تنم عن روح غربية عميقة ، وربما نمت أيضاً عن روح نصرانية كما ظهر من موقفها نحو العراق فيما اشترطته عليها ثمناً لانضمامها إليها . ولن يكون شأن المثول فى العصبة فى ظروفنا الحاضرة إلا كشأن التمثيل السياسى الذى يكبد مصر مئات الألوف دون أن تجنى من ورائه مزايا عملية يعتد بها . وحتى لو سويت المسائل المعلقة بين مصر وإنكلترا وعقدت المعاهدة المصرية الانكليزية المنشودة ، وتأكد استقلال مصر من الناحية العملية ، فانا لا نجد ما يحمل مصر على السعى إلى

الالتحاق بعصبة جنيف . ومن الخطأ أن يتصور البعض أن المثول فى العصبة من مظاهر الاستقلال ، فان بين أعضاء العصبة مستعمرات وأملاكاً مستقلة طبقاً لما ينص عليه ميثاقها .

لقد تمزق الحجاب أخيراً عن ذلك الرياء الدولى الذى استمر زهاء خمسة عشر عاماً ، والذى لبث حيناً يحتضن الدعوة إلى السلام وتفاهم الأمم ، ويعقد المواثيق للتحكيم وتحريم الحرب ؛ وعادت أوربا القديمة إلى سياستها القومية القديمة ، عمادها القوة والعنف ، وغايتها افتراس الأمم الضعيفة ؛ وما عصبة الأمم إلا عرين الأمم المفترسة قبل كل شىء ، ولا خير لأمة ضعيفة أن تقر الذئاب على ريائها ، ولا خير لها بالأخص فى أن تندمج معها فى صعيد واحد .

محمد عبد الله عنان
المحامى

٤ ـ الشخصية

للأستاذ محمد عطية الابراشى
المفتش بوزارة المعارف

العناصر الرئيسية التى تتكون منها الشخصية القوية :

تكلمنا فيما مضى عن الجاذبية ، والنشاط العقلى ، والمشاركة الوجدانية ، والشجاعة ، من العناصر الرئيسية المكونة للشخصية القوية . والآن نتكلم عن بعض العناصر الأخرى المقوية للشخصية كالحكمة ، والتفاؤل ، والتواضع ، ومظهر الانسان وقوامه ، وقوة البيان وأثرها فى الشخصية فنقول .

الحكمة :

إن شخصية الانسان لا تكون متينة إلا إذا زانتها الحكمة والعلم والحزم ، ووضع الأشياء فى مواضعها ، وقدرها حق قدرها . والرجل الحكيم هو السديد الرأى ، البعيد النظر ، الحسن التقدير ، الذى يعرف الحق فيتمسك به ، ويفعل ما يجب أن يفعل ، ويترك ما ينبغى أن يترك ، ويقول ما يجب أن يقال ، يرى الفرصة فينتهزها ، ويشعر بالطريق المستقيم فيسلكه ، يحس بنتيجة الشىء حتى قبل حدوثها ، ويعامل غيره بما يحب أن يعامل به ، ويحكم على غيره عما يود أن يحكم به عليه ، يحب لأخيه ما يحب لنفسه . وإذا حكم على غيره كان حكمه بعيداً عن الأهواء والأغراض ، تتمثل فيه النزاهة والعدالة . كل هذه الصفات نتيجة الحكمة وحسن التقدير ، والحكمة صفة أساسية فى تكوين الشخصية السامية . أما إذا انتفت الحكمة فان الانسان يكون واهن الرأى ، مضطرب البصيرة ، سيء الحظ ، عاثر الجد ، ضعيف الشخصية ، يعجز عن تقدير الأشياء ، ويفعل ما يجب ألا يفعل ، ويهمل أموراً تجب العناية بها ، ويهتم بأشياء لا قيمة لها ، يحب ما ينبغى أن يكره ، ويكره ما ينبغى أن يحب ، فيصبح ضحية لوجداناته وأقواله وأفعاله ، ويصير مكروهاً لدى من يعرفونه .

ومن الحكمة أن نجتهد فى إرضاء الناس — وإن كان إرضاؤهم جميعاً غاية لا تدرك — من غير أن نضحى بمبدإ من مبادئنا ، أو مظهر من مظاهر رجولتنا حتى نمتلك قلوبهم ، وهذا دليل على وجود الشخصية القوية الجذابة .

وكثيراً ما تفسد الحكمة وتشوه بالفخر ، أو التكبر ، أو الحقد ، أو الغيرة ، أو الغش . فينبغى أن يهذب الانسان نفسه ، ويترك الفخر جانباً ولا يتكبر أو يحقد على غيره ، ولا يغش أحداً أو يضله ، حتى تكون علاقته بغيره حسنة ، وتكون شخصيته محبوبة لدى من يتصلون به أو يعرفونه .

التفاؤل :

من العناصر التى لا تقل أهمية فى تكوين الشخصية الممدوحة : التفاؤل والتيمن والنظر إلى الأشياء بمنظار الفأل الحسن ، ويمن الطالع ، لا بمنظار التشاؤم والتطير ، ذلك المنظار الأسود ، منظار الشؤم والطِّيَرَة . فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب الفأل ويكره الطيرة . ولا نقصد بالتفاؤل أن نغمض أعيننا عن الحقائق ونتائج الأمور ، بل نقصد أن نعتاد فى تفكيرنا النظر إلى الأشياء بعين الأمل والرحمة ، لا بعين اليأس والقنوط ، وننظر إليها فى نور الأمل لا فى ظلام اليأس ، من الناحية المضيئة من الطريق ، لا من الناحية المظلمة الحالكة . والمتفائل يرضى بالماضى خيره وشره ، ويثق بالمستقبل ، ثم يؤدى الواجب ويترك النتيجة لله سبحانه وتعالى . وتعتبر هذه العادة العقلية — عادة التفاؤل — من الأمور

الجوهرية فى تقوية الشخصية . وكثيراً ماينشأ التفاؤل عن نشاط الشخص وقوته العقلية والعصبية ، وعن نوع الأفكار التى يسمح لها بالدخول إلى العقل ، وإذا تعود الانسان أن يزود نفسه بالأفكار الصحية السارة فانه لا يتجنب التشاؤم والحزن فحسب ، بل قد يطل من نوافذ العقل على الناحية السارة المضيئة من الحياة .

وينشأ التشاؤم عن ضعف النشاط وضعف القوة العصبية ، ووهن الرقابة العقلية (Mental control) فى الانسان ؛ فيسمح لنفسه بأن تسبح فى جو مظلم من الأوهام حتى يصبح عقله متلبداً بغيوم لاحقيقة لها ، ودخان لا أصل له ، هى غيوم التطير ودخان التشاؤم . وإن ضبط النفس والنظر إلى الناحية السعيدة دائماً مما يزيل عن أولئك المتشائمين وهؤلاء المتطيرين هذه الهموم والأحزان التى تسيطر على نفوسهم . وإذا كان التفاؤل موقظاً للعقل ، ومدعاة للنشاط وباعثاً على الاقدام ، ومحرراً للانسان ، ومنشطاً لجميع قواه العقلية ، فالتشاؤم سبب فى الخمول والكسل وكثرة التردد والفشل والشقاء والضعف لا فى التفكير فحسب ، بل فى الشخصية أيضاً .

فالشخصية الحية القوية ينبغى أن تتمسك بالتفاؤل ، وتلتزم الناحية السارة ، يقودها الأمل ، ويحييها الرجاء . تفكر فى النجاح أكثر من الخيبة ، وفى التقدم أكثر من التأخر . وتميل إلى جانب الثقة أكثر من الميل إلى جانب التردد ، وتثق بما تقول وما تفعل ، ولديها كل علاج وهى منبع النشاط والقوة . قال (روبرت برونتج)[1] : « من الحكمة أن ترجح جانب الخير على جانب الشر ، واللين على الشدة ، والتعقل على الطيش ، والأمل على اليأس ، والنور على الظلام »

التواضع وعدم التصنع :

العنصر السادس من عناصر الشخصية التواضع وعدم التصنع ، وذلك بأن يكون لدى الانسان استعداد به يقدر نفسه ومركزه تقديراً يدل على التفكير والحكمة من غير تصنع أو تظاهر بما ليس فيه .

فاذا تصنع المرء وادعى صراحة أو ضمناً ما ليس فيه ؛ كأن يقدر نفسه فوق قدرها ويعطيها أكثر من حقها ، ويتعظم وما هو بالعظيم ، ويَدّعى العلم وما هو بالعالم ، والثروة وما هو بالثرى ، والقوة وما هو بالقوى — إذا ادعى شيئاً من هذه الأشياء فقد يتضح أمره لدى الناس ، ويتبين جهله أو فقره أو ضعفه على عكس ما ادعى ، فيعلمون كذبه ، فيحتقرونه ويزدرونه ، وينفرون منه ويتباعدون عنه ، ويصبح ممقوتاً عندهم جميعاً .

وإن مدح الانسان نفسه ثقيل لا يقبل ، وإذا قبل فانه يجب أن يستند إلى حقائق . والأولى أن يترك الانسان عمله ليدل عليه ويتحدث عنه ، بدلاً من أن يتحدث هو عن نفسه . وإن كان المرء جديراً بالمدح فسرعان ما تظهر حقيقته ، ويقدر الناس كفايته ، ويزنون أعماله ، ويعترفون بشخصيته ومقدرته . فالتواضع سبيل النجاح والرفعة ، والتصنع سبيل الفشل والذلة .

وإننا وإن كنا ضد التصنع والتظاهر لا نمنع أن ننزل أنفسنا منزلتها ونعدها وحدة من المجموع ، لها ماله وعليها ما عليه ، ونستحسن أن نترك للغير الحكم لنا أو علينا ، وأن نتحلى بالتواضع فى غير ضعف أو ذلة . فالتواضع أساس للشخصية المحبوبة الجذابة . وإننا نجتذب غيرنا بقدر ما يحبنا الغير . وإذا كانت الشخصية مظهراً لقوة النفس فهى عدوة الكذب والتضليل . فليس المهم فى أن تَدّعى كذباً ، ولكن المهم فى أن تعمل حتى تثبت لنفسك العظمة إن كنت عظيماً .

مظهر الانسان وقوامه :

لمظهر الانسان أثر فى شخصيته ، فالرجل الصحيح الجسم الحسن القامة ، قد لا يحتاج فى إظهار شخصيته والتأثير فى غيره إلى ما يحتاجه الشخص النحيف الجسم ، المشوه الخلقة ؛ فبينما تجد الأول طبيعياً فى معاملته لأنه لا يشعر بنقص خارجى يريد أن يكمله ، إذ تجد الثانى محباً للتظاهر ، متكلفاً فى أقواله وأفعاله ، متخذاً كل وسيلة يستطيع أن يظهر بها نفوذه ، فيتظاهر بالعلم تارة ، ويفخر بحسبه ونسبه تارة أخرى . وقد يتخذ أحياناً وسائل ثعبانية أو ثعلبية ، ليظهر بها نفسه أمام من يبغى الظهور بينهم ، فيلجأ إلى الوشاية حيناً ، وإلى الملق حيناً آخر . وقد يضطر إلى

(١) هو شاعر انجليزى كبير (١٨١٢ — ١٨٨٩ م) مشهور بغموض الأسلوب

التجمل فى جسمه ولبسه ، أو المداعبة فى حديثه ، كل ذلك ليكمل ما فيه من نقص جسمى .

فالانسان حينما يحس بنقص من الناحية الجسمية مثلاً تراه يعمل على أن يسد هذا الفراغ ، ويكمل ذلك النقص من الناحية العقلية أو الخلقية حتى يظهر شخصيته للملأ . فسقراط مثلاً شيخ الفلاسفة من اليونان ، كان أفطس الأنف ، غليظ الشفتين ، جاحظ العينين ، قبيح المنظر ، ولكنه قد وصل بمواهبه العقلية والخلقية الأخرى الى ذروة المجد . ويكفيه فخراً أنه أستاذ أفلاطون ، وأنه أكبر فلاسفة اليونان . والجاحظ كان أديب العلماء ، وعالم الأدباء ، وما لقب بهذا اللقب الذى كان مبغضاً اليه إلا لأنه كان جاحظ العينين (بارزهما) ، دميم الخلقة ، حتى قيل إن الخليفة المتوكل سمع بمنزلته من العلم والفهم ، فاستقدمه اليه (بسر من رأى) ليؤدب ولده ، فلما رآه استبشع منظره ، وصرفه بعشرة آلاف درهم . ولكنه بجانب ذلك كان خفيف الروح ، ذكى الفؤاد ، واسع الاطلاع ، وكان يعد دائرة معارف فى الآداب والعلوم واللغة والتاريخ حتى أصبح لقبه — الذى كان يكرهه — دليلاً على التبحر فى العلم والأدب ، والتفوق فى فنون البلاغة والبيان ، سئل كيف حالك يا أبا عثمان ؟ فقال : « حالى أن الوزير يتكلم برأيى ، وينفذ أمرى ، ويواتر الخليفة الصلات إلىّ . . . . » والتاريخ حافل بكثير من العظماء المشوهة أجسامهم السامية أرواحهم وعقولهم ، فلا حاجة بنا الى التطويل . وكل ما نريد أن نقوله هو أنه إذا نقص الانسان من جهة حاول أن يكمل نفسه من جهة أخرى .

قوة البيان :

إن قوة البيان ، وفصاحة اللسان ، وحسن المنطق والقدرة على التأثير فى السامع مع رجاحة العقل ، تكسب الانسان شخصية وتجعل له منزلة بين سامعيه ، ولذلك لما أمر سيدنا موسى عليه السلام أن يذهب الى فرعون ، شكا موسى العى فى القول ، وطلب من الله أن يرسل معه أخاه هرون لفصاحته قائلاً : « وأخى هرون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى رداً يصدقنى » يريد فرعون . وإننا لا نريد بالفصاحة الثرثرة والتشدق والتوعر فى الكلام ، كما لا نريد بها أن يزيد كلام الانسان على عقله ، بل نريد حسن التعبير عما فى النفس ، وقوة التأثير فى المستمع ، والتكلم من غير تهيب أو تخوف بحيث يكون الكلام حلواً رشيقاً ، سهلاً عذباً مؤثراً . أما العىّ والحصر واللجلجة ، والتمتمة والفأفأة وكثرة التردد فى القول ، والخجل فى أثناء التكلم فتقلل من تأثير الشخص فى سامعيه . وإن حُسْن التعبير عما فى النفس شرط أساسى لقوة الشخصية ، وهو يتطلب العلم بالشىء الذى نريد التكلم عنه ؛ لأن أفكارنا إذا عرفت كان من السهل التعبير عنها . وكما يجب أن نعرف ما نريد أن نقول ، وما نريد أن نفعل ، كذلك يجب أن نحسن القول ونحسن العمل . وما أجمل الكلمة الصائبة فى اللحظة المناسبة . وكما ينبغى حسن التكلم والخطاب ، كذلك ينبغى حسن الاصغاء والاستماع للغير . وقد تكون لدينا الأفكار السامية ولكننا نحتاج الى شجاعة فى إظهارها حتى ينتفع بها غيرنا . . ؟

محمد عطية الابراشى

بين فن التاريخ وفن الحرب

٢ ـ خالد بن الوليد *

فى حروب الردة

للفريق طه باشا الهاشمى

رئيس أركان حرب الجيش العراقى

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ومافى بدنى شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأنذا أموت على فراشى كما يموت البعير ! فلا نامت أعين الجبناء »

خالد بن الوليد

٣ ــ أسباب الحروب :

مات رسول الله والاسلام لم يتمكن من قلوب جميع العرب الساكنين فى الجزيرة . وادعى بعض الرؤساء النبوة فى آخر أيام الرسول ، وارتد الكثير من العرب بعد وفاته .

والثابت أن الذين تمكن الاسلام من قلوبهم ولم يتزعزع ايمانهم هم المهاجرون والأنصار وقريش وثقيف والقبائل الساكنة بين المسجدين (المدينة ومكة) على مايذكره الطبرى .

ولم يكن تأثير الردة فى القبائل على نمط واحد ، بل كان الأمر يختلف باختلاف العوامل ، وهى تتلخص فيما يلى : —

(ا) قرب المنطقة التى تسكنها القبيلة من المدينة أو بعدها .

(ب) علاقة القبيلة بالمدينة .

(ح) قرب عهد القبيلة بالاسلام أو بعده .

ولقد ناقش المستشرق الطليانى لئونه كايتانى هذه العوامل فى كتابه « تاريخ الاسلام » (Annali del islam) فصنف العرب من حيث علاقتهم بحروب الردة الى خمسة أصناف ، فوضع فى الصنف الأول القبائل التى أسلمت منذ مدة طويلة وخضعت لسلطة المدينة خضوعاً تاماً ، وهى القبائل التى تسكن بالقرب من المدينة ومكة وفيما بينهما كجهينة ومزينة وبلى وأشجع وأسلم وهذيل وخزاعة وغيرها .

ووضع فى الصنف الثانى القبائل التى تعاقدت مع الرسول واشتركت فى المدة الأخيرة فى حروبه ، وقد كان فيها على اسلامها أقلية مختلفة تنتهز الفرص للتملص من سلطة المدينة ، ومن هذه القبائل هوازن وعامر بن صعصعة وطىء وسليم وخثعم .

ووضع فى الصنف الثالث القبائل الساكنة على حدود المملكة الاسلامية ، فخضعت هذه القبائل سياسياً لسلطة المدينة ، ودفعت الصدقات الى الرسول ، وفيها أكثرية تتحين الفرص للرجوع الى حالتها القديمة . ومن أخطر هذه القبائل بنو أسد وبنو غطفان وبنو تميم الساكنون فى مناطق نجد الغنية .

ووضع فى الصنف الرابع القبائل التى لم تخضع لسلطة المدينة ، بل اكتفت بارسال الوفود الى الرسول وتظاهرت بالخضوع له . فيها أقلية مسلمة ضئيلة تستند الى قوة المسلمين فى المدينة للاحتفاظ بمنزلتها . ومن أخطر هذه القبائل بنو حنيفة وعبد القيس وأزدعمان وأكثر قبائل حضرموت واليمن . أوفد الرسول اليها عمالاً ليمثلوا الاسلام ، وليعلموا المسلمين أمور الدين .

أما القبائل التى وضعها فى الصنف الخامس فهى القبائل التى لم تسلم وكانت نصرانية أو مشركة . وهى القبائل الساكنة فى الشمال كبنى كلب وبنى تغلب وبنى غسان وقضاعة وتنوخ وبنى بكر . وبعض القبائل فى حضرموت واليمن .

ولكنى لاأجارى المؤرخ الطليانى فى تصنيفه هذا ؛ بل من الثابت أن تأثير الاسلام فى القبائل العربية كان يختلف باختلاف العوامل التى ذكرناها قبلاً ، والواقع أن الرسول لم يمت إلا وقد ظهرت حركة الردة فى القبائل ، فمنها من طلب إعفاءه من اعطاء الزكاة ، ومنها من امتنع من اعطائها ، ومنها من قدم رجلاً وأخر أخرى فى ذلك فأمسك عن الصدقة ، وأخيراً منها من ارتد وطرد عمال الرسول أو قتل المسلمين ومثل بهم .

وكان الرسول فى حياته قد حرض عماله فى اليمن على مقاتلة الأسود العنسى الذى ادعى النبوة واستولى على أكثر مقاطعات اليمن .

أما أبو بكر فرد الوفود التى أتت الى المدينة وطلبت منه أن يعفيها من إعطاء الزكاة ، وقال كلمته المشهورة « والله لو منعونى عقال بعير لقاتلتهم عليه » ولما وردت الكتب من أمراء الرسول

(*) وهو بحث فنى قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما نعلم غير كاتبه الفاضل . « الرسالة »

تنبأ أبو بكر بأن الناس ارتدوا عامة وخاصة وأنهم تبسطوا بالتمثيل بمحاربهم .

٤ — قوات الفريقين :

١ — أهل الردّة : إذا استقصينا الأخبار التى رواها الرواة توصلنا الى النتائج التالية :

(أولاً) لم ترتد القبائل الساكنة الى شرقى مكة وغربيها وجنوبيها ، بل ظلت على الحياد غير ميالة إلى أحد الفريقين ، وهى قبائل كنانة وأزد وبجيلة وخثعم وعك وأشعر وحكم وغيرها .

(ثانياً) تأثر بحوادث الردة القبائل الساكنة الى شمال شرقى مكة كهوازن وعامر بن صعصعة وجذيلة . أما بنو سليم فقد ارتد الكثير منهم ، بيد أن هذه القبائل جميعاً لم تشهر سلاحها فى وجه المسلمين .

(ثالثاً) أما قبائل طى فانها لم تقرر الى أى جانب تميل ومع ذلك فان قسما قليلاً منها انضم الى جيش طلحة الأسدى مدة قصيرة

(رابعاً) وأما قبائل قضاعة الساكنة الى شمالى المدينة فانها شهرت سلاحها على المسلمين .

ومع ذلك لا يصح أن يقال إن هذه القبائل جميعاً ساعدت أهل الردة الذين ثاروا فى وسط الجزيرة ، بل إن بعضها ظل فى منطقته إما على الحياد وإما متردداً لا يحرك ساكناً ، وإما أنه طرد العمال الموفدين من المدينة فى عهد الرسول .

لذلك لا يجوز اعتبار هذه القبائل من القبائل الساكنة فى وسط الجزيرة التى حشدت رجالها وأغارت على ضواحى المدينة ، أو أنها تأهبت لمنازلة جيش المسلمين .

أما القبائل التى اشتركت فى حروب الردة فعلاً فاليك بيانها :

(١) بنو فزارة وبنو غطفان الساكنون الى شرقى المدينة على طريق نجد . فقد توافد رؤساء هذه القبائل الى المدينة وطلبوا من أبى بكر أن يعفيهم من الزكاة . ولما لم يجب طلبهم رجعوا فجمعوا رجالهم وتأهبوا لمباغتة المدينة .

(٢) بنو أسد الساكنون على منتصف الطريق التى بين الحجاز ونجد الى جنوبى جبل شمر . ويزعم الرواة أن طليحة بن خويلد الأسدى ادعى النبوة فى حياة الرسول وجمع رجاله فى السميراء . ولما توفى الرسول وامتنعت القبائل من إيتاء الزكاة سعى الى جمع القبائل حوله ، واقترح عيينة بن حصن الفزارى ترك المنازعات بين بنى أسد وبنى غطفان وعقد حلف بين بنى فزارة وبنى غطفان وبنى أسد .

لبى بنو فزارة هذه الدعوة واتحدوا مع بنى أسد ، وكذلك البعض من بطون طىٔ أيضاً انضم الى طليحة ، حتى أن رئيس جديلة بن طى ، ثمامة بن أوس ، جمع خمسمائة رجل وانضم الى بنى أسد .

(٣) بنو تميم الساكنون فى نجد فى منطقة القصيم .

وتتألف هذه القبيلة من عدة بطون . ولما بلغها نعى الرسول امتنع أكثر بطونها عن أداء الزكاة . وكان الاختلاف قد دب فيما بينها ، ولما ظهرت سجاح من شمالى الجزيرة بجموعها من تغلب مدعية النبوة ، ودخلت حتى بنى تميم لأنها كانت تمت اليهم بنسب ، التف حولها بعض من تميم وعلى رأسه مالك بن نويرة . ويزعم الراوى سيف بن عمر أنها كلفت مالكا بالمسير معها نحو المدينة للهجوم على أبى بكر . وكان البعض من بطون بنى تميم لم يرتد فالتجأ اليه المسلمون الهاربون من البطون الأخرى فقاتل سجاحا ومن معها من بنى تميم ومنعها من التقدم نحو المدينة . والرواة يزعمون أنه انتصر عليها وعلى حلفائها من بنى تميم وألجأها الى مغادرة ديار بنى تميم والذهاب الى مسيلمة الكذاب .

(٤) بنو حنيفة الساكنون فى اليمامة . ادعى رئيس هذه القبيلة مسيلمة النبوة فآمن بنبوته جميع بنى حنيفة . ويظهر أن دعوة الأسلام لم تنتشر فيها وكان معظمها مشركا . فلما ادعى مسيلمة النبوة آمنت بنبوته . وهى ولا ريب من أخطر القبائل التى اشتركت فى حروب الردة وقاتلت المسلمين قتالاً عنيفاً . وذاق المسلمون الأمرين فى حروبها . ويزعم الراوى سيف بن عمر أن جيش بنى حنيفة المحارب بلغ أربعين ألفاً .

ومن العسير معرفة قوات هذه القبائل التى اشتركت فى المعارك ، والواضح أن قبائل غطفان وفزارة التى حاولت مباغتة المدينة حتى اضطر أبو بكر إلى مقاتلتها كانت دون القبائل شأناً . ولعل القوات التى جهزتها لم تزد على الفى رجل .

أما القوة التى استطاع طليحة أن يجهزها ويقاتل بها جيش المسلمين فكانت تربو على أربعة آلاف مقاتل ، وانضم خمسمائة

رجل من جديلة طيئ وسبعمائة فارس بقيادة رئيس بنى فزارة عيينة بن حصن .

أما بنو تميم فلو اتفقت بطونها وقابلت جيوش المسلمين لبلغت قوتها زهاء عشرة آلاف مقاتل ، غير أنها لم تتفق فيما بينها ، بل حارب بعضها بعضاً ، ولما وصل خالد بن الوليد بجيشه إلى ديار بنى تميم كانت البطون قد تفرقت .

أما بنو حنيفة فكان جيشهم من أقوى الجيوش التى حاربت المسلمين ، ومع أن سيفاً يزعم أن قوتهم بلغت أربعين ألفاً ، بيد أننا لانميل إلى اعتقاد صحة روايته ، ولعل قوة جيش بنى حنيفة لم تزد على خمسة عشر ألف مقاتل .

والذى جعل الرواة يبالغون فى تقدير جيش بنى حنيفة هو وعورة المنطقة التى حارب فيها المسلمون ، والحقيقة أن أرض اليمامة أرض وعرة فيها وديان وشعاب وجبال وعقبات وثنايا . والذى زاد فى مناعة الأرض القرى المحصنة بالأسوار والحدائق المسورة بالأحجار المكدسة شأن الكثير من قرى العارض والسدير فى بلاد نجد .

ب . المسلمون :

جهز الرسول جيش أسامة قبل وفاته بمدة قليلة وكان يقصد إنفاذه إلى الشمال . واجتمع الجيش فى الجرف فى شمالى المدينة ، ولما علم بمرض الرسول أجل حركته

وبعد وفاته أوفده أبو بكر لينفذ الخطة التى رسمها له الرسول فى حياته . ونصح بعض الصحابة أبا بكر أن يبقيه لكى يعتز به بعض الاسلام وأراد بعضهم تبديل قائده ، بيد أن الخليفة لم يجب طلبهم ، ولم يرض أن يبدل ما قرره الرسول . وليس لدينا معلومات موثوق بها عن قوة هذا الجيش ، لأن المؤرخين القدماء جروا على عادتهم ، بحثوا فى قائده والأوامر الصادرة اليه ، والغاية المتوخاة من إنفاذه وغير ذلك ولم يذكروا مقدار قوته .

وإذا تأملنا فى سبب إنفاذه ، ظهر لنا أن قوته يجب أن تكون كافية . وسبق أن جهز الرسول جيشين لهذه الغاية ذاتها وهما : جيش جعفر بن أبى طالب الذى قاتل الروم فى البلقاء فى وقعة مؤتة ، وكانت قوته ثلاثة آلاف مقاتل ، والجيش الذى قاده الرسول بنفسه ليغزو به تبوك ، وقد بالغ المؤرخون فى قوته ، وزعموا أنه بلغ ثلاثين الفا ، أما جيش أسامة ، فهو الجيش الثالث ، ونعتمد أن قوته يجب ألا تقل عن خمسة آلاف .

وكان المهاجرون والأنصار نواة هذا الجيش . فالمهاجرون والأنصار عماد الجيش الاسلامى ، وهم كالحرس الذى كان يؤلفه الملوك للاعتزاز به فى تنفيذ خططهم ، اصلاحية كانت أم حربية

واشترك هؤلاء فى غزوات الرسول وحروبه من أولها إلى آخرها . وكانوا يؤثرون النبى على أنفسهم فى جميع أعمالهم ، فكان الأسلام متمكناً من قلوبهم ، فلا غرو إذا رأينا الأسلام يقوم على سواعدهم بعد وفاة الرسول ، ولعل عددهم كان يتفاوت بين الألف والخمسمائة وبين الألفين لما توفى النبى .

وكان أكثرهم فى جيش أسامة ، ما عدا البعض منهم فانه بقى فى المدينة مع أبى بكر ، أو أوفد فى حياة الرسول عاملاً أو معلماً أو مبشراً الى الأقطار العربية النائية ، أو جابياً أو معلماً الى القبائل العربية القريبة .

ويلى المهاجرين والأنصار قريش التى أسلمت بعد فتح مكة وأبلت بلاء حسناً فى الاسلام بعد ذلك . أجل ، إنها لبت الدعوة أخيراً وقسراً ، الا أنها اقتنعت أن عز الأسلام من عزها فناصرت الرسول فى حياته من أعماق قلبها ، حتى أن الرسول بعد فتح مكة رضى أن يظل البعض من قريش مشركاً حتى يفتح الله قلبه ، ومع ذلك لم يحجم هذا البعض عن الجهاد معه فى غزوة صفين أو فى محاصرة الطائف .

ولعل القوة التى كانت قريش تستطيع أن تجهزها للقتال زادت على ألفى مقاتل على أقل تقدير .

ويلى قريشاً القبائل الساكنة بين الحرمين ، مكة والمدينة ، وهى التى ناصرت الرسول فى دعوته . وقد اشترك بعضها فى الغزوات ، وجاهدت أخيراً فى حروب الرسول . فقربت هذه الحروب بينها وبين المهاجرين والأنصار وربطتهما برباط متين . فلا مندوحة إذن من أن نرى أبا بكر يدعوها الى الجهاد لما كان جيش أسامة بعيداً عن المدينة ، فلبت دعوته راغبة مطيعة ، وهذه القبائل هى : أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وكعب وغيرها .

ولعل القوة المحاربة فى هذه القبائل لم تزد على ثلاثة آلاف .

وتليها قبيلة بنى ثقيف الساكنة بين مكة والطائف وهى خير من أسلم من قبائل الحجاز . واشتهرت بشدة مراسها وصلابة عودها ؛ وكانت تعتز بعاصمتها الطائف المسوَّرة . ولم ترتد ثقيف على ما سبق ذكره ، بل بقيت متمسكة بالأسلام ، وكانت قوتها المحاربة تقدر بأكثر من الفى مقاتل .

هذه خلاصة القوات التى كان الخليفة يعتمد عليها فى محاربته أهل الردة . وقد ظهر لك أنها كانت تبلغ عشرة آلاف متى تيسر جمعها . والواضح أن جيش أسامة بن زيد كان مؤلفاً من معظم المهاجرين والأنصار وبعض رجال القبائل ، وذلك لما كان أسامة بعيداً عن المدينة إذ أخذت القبائل المرتدة الواقعة الى شرق المدينة تهددها .

ولعل من الفائدة أن نذكر بهذا الصدد مقدار القوات التى استطاع الرسول أن يجمعها فى حروبه :

كانت قوة المسلمين فى غزوة بدر لا تزيد على ثلثمائة رجل ؛ أما فى غزوة أحد فكانت زهاء الألف ، وفى غزوة الخندق بلغت ثلاثة آلاف .

أما فى فتح مكة إذ ظهرت سطوة الأسلام ، وقويت شوكة المسلمين فكان جيش المسلمين عشرة آلاف ، نواته المهاجرون والأنصار ، وقوامه رجال القبائل الضاربة إلى شرق المدينة وشمالها وجنوبها .

ويزعم الرواة أن جيش الرسول بلغ ثلاثين ألفاً فى غزوة تبوك ، كان عشرون ألفاً منه رجالاً وعشرة آلاف فرساناً . أجل إن الموقف العسكرى كان ملائماً لمبادرة رجال القبائل إلى الالتفاف حول راية الأسلام للهجوم على بلاد الشام وهى المشهورة بخيراتها ، وذلك يجعل جيش المسلمين يصل الى حده الأقصى ، إلا أننا لا نظن أنه بلغ القوة التى ذكرها الرواة ، ولعلها بلغت أكثر من خمسة عشر ألفاً .

ولما امتنعت القبائل العربية عن أداء الزكاة وارتد البعض منها لم يكن فى وسع الخليفة أن يجمع كل القوات التى يستطيع أن يعتمد عليها على ما سبق بيانه . لأن جيش أسامة كان فى الشمال ، وفيه نخبة الجنود المجاهدين . أما قريش وثقيف فكانتا بعيدتين عن دار الحركات ، لذلك دعا أبو بكر القبائل الضاربة بين المدينة ومكة أولاً ؛ ولما رجع جيش أسامة استنجد به . ثم أخذ رجال قريش وبعض ثقيف ينضمون الى الحملات

ومن الثابت أن قوة المسلمين كانت جد ضعيفة لما تأهب بنو غطفان وفزارة للهجوم على المدينة ، ولعلها لم تجاوز بضع مئات .

(يتبع) طه الهاشمى

من مشاهداتي في أوربا :

معجزات طبيب

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

في بطن واد من وديان بلاد النمسا بين التلال والسهول المكسوة بالأشجار الباسقة والخضرة الضاربة ، قرية صغيرة كانت قبل خمس سنوات مجهولة لا يطرقها طارق ، ولا يذكر اسمها ذاكر . ولكنها أصبحت منذ سنة ١٩٢٩ محط الرحال ، ومهبط الآمال ، تعرفها شعوب الأرض قاطبة ، ويحج إليها المريض الأوربي انجليزياً كان أو ألمانيا أو إيطالياً أو تركياً أو مجرياً كما يحج إليها مرضى القارات الأخرى أمريكا واستراليا وآسيا وأفريقيا، تلك هي قرية جالزباخ Gallspach الصغيرة التي تبعد عن ڤينا أربع ساعات في القطار ، وتعلو عن سطح البحر بنحو ٣٠٠ متر تقريباً .

عرفت تلك القرية منذ أنشأ فيها (ڤالنتين تسايلايس) Valentin Zeileis ، رجل المعجزات والعجائب كما يسميه أفراد تلك الشعوب ، مصحته العظيمة التي كلفته نحو الأربعين ألفاً من الجنيهات . وإذا كان تسايلايس استطاع بمهارته وقدرته ومخترعاته أن يعالج بالألكترواديوم الأعمى فيبصر ، والأخرس فينطق ، والقعد فيمشي ، والأشل فيبرأ ، وغير ذلك من المرضى فيشفون ، فقد حق لتلك الشعوب أن تطلق عليه اسم الساحر أو طبيب المعجزات والعجائب .

ولقد مكنت لي الظروف صيف هذا العام أن أتعرف إلى الكثيرين في تلك المصحة من المرضى النازحين إليها من مختلف شعوب الأرض ، بعضهم لعلاج العمى ، وبعضهم لعلاج الشلل ، وبعضهم لعلاج الربو ، وهكذا من شتى المرضى بالعاهات المختلفة ، ورأيت فيهم جميعاً روحاً غريبة هي روح الثقة بالشفاء على يدي هذا الرجل إن عاجلاً أو آجلاً ، كل حسب شدة المرض عنده . وقد تحدثت هنالك إلى رجل نمساوي كان أعمى وأبصر ، فعلمت منه أنه مستمر في العلاج بالألكترواديوم لتحسين قوة نظره ، وهو يتطوع أبداً لقيادة العميان وأخذهم في صف واحد ممسكاً كل واحد منهم بقميص الآخر من الخلف في دخولهم إلى حجرة العلاج وخروجهم منها . كما أني تحدثت مع فتى انجليزي ، وآخر ألماني ، كان كل منهما أشل لا يستطيع أن يحرك نصفه الأيسر ، وبعد العلاج مرتين أو ثلاث مرات أصبح كل منهما قادراً على المشي بعرج بسيط ، وكلاهما يأمل في الشفاء التام بعد تكرار العلاج مرة أخرى أو مرتين ، وهناك فوق هؤلاء وهؤلاء عشرات من الشيوخ الذين يحجون إلى مصحة هذا الساحر لاسترجاع شبابهم واستعادة قوتهم . وقد قابلت هناك من المصريين عبد الرحمن فهمي بك السكرتير السابق للوفد المصري ، وقد ذكر لي أنه كان يعالج عينيه مما يسمى بالذباب الطائر [1] ، وأنه قد برئ منه ، وأن هذه سابع مرة يحج فيها إلى تلك المصحة لأنه يشعر بعد كل مرة أن الشباب والقوة يتدفقان في جسمه ، وقد حدثني كثيراً عما رآى من معجزات تسايلايس ، وكان مما ذكره أنه رأى أخرس عالجه هذا الرجل بطريقته الشاذة العجيبة حتى أنطقه . ورأيت هناك أيضاً من المصريين أحمد حجازي بك عضو مجلس النواب السابق وأسرته لأول مرة له ، ليعالج نفسه من الربو ، وليعالج كريمته التي عجز نطس الأطباء في أوربا عن شفائها ، وهو وإن لم تطل مدة إقامته هناك إلا أنه ذكر لي أنه استفاد فائدة محسوسة من العلاج ، وأنه لابد أن يعود في العام المقبل مع كريمته ليستأنف علاجها مدة حتى تشفى على اعتقاده نهائياً . أما أنا وصديقي الأستاذ علم الدين القوصي فقد جمعتنا ظروف المرض العصبي الذي عجز أطباء مصر عن علاجه ، فقصدنا لأول مرة تلك المصحة حسب نصيحة الدكتور يوسف قابيل مأمور القنصلية المصرية بڤينا ، والذي نسجل له على صفحات الرسالة جزيل شكرنا على ما لقيناه منه من مساعدة ونصيحة . قصدناها فعالجنا الساحر النمساوي ثلاثة أسابيع بالألكترواديوم ، فأحس كل منا بالتحسن الكبير في صحته ، وعدنا شاكرين الله سبحانه على اهتدائنا لهذا الطبيب .

وقد حصلت على إحصاء رسمي عن آلاف المرضى الذين عولجوا في تلك المصحة في خمس سنين من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٣٣ فكان كالآتي .

(١) هو ما يسمى بالعربية السمادير (الرسالة)

سنة ١٩٢٩ : ١٠١٠٠ مريض ، سنة ١٩٣٠ : ١٦٣٥٤ مريضاً ، سنة ١٩٣١ : ١٠١٥٥ مريضاً ، سنة ١٩٣٢ : ١٢٠٩٢ مريضاً ، سنة ١٩٣٣ : ٧٦٧٠ مريضاً ، وكان عدد المرضى فى شهور سنة ١٩٣٤ كالآتى .

يناير ٣٦٤ ، فبراير ٣٠٤ ، مارس ٤١٦ ، أبريل ٦٠٢ ، مايو ٦٠٤ ، يونيه ٧٢٥ ، يوليه ٨٨٣

والذى يتتبع هذا الأحصاء يرى تناقصاً فى العدد فى سنتى ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ويرجع السر فى ذلك الى اقفال الحدود النمساوية الألمانية ، فقد قررت حكومة ألمانيا فى يونيه سنة ١٩٣٣ على كل ألمانى يرغب اجتياز الحدود النمساوية أن يدفع ألف مارك ، أى نحو ٧٥ جنيهاً ، فكان هذا سبباً فى صد تيار الألمان الذى كان يتدفق قبل ذلك الى جالزباخ ، ويكفى للدلالة على ذلك أن تعلم أن عدد الأجانب الذين هبطوا تلك القرية أخذ فى التناقص من ٧٤ ٪ من جميع المرضى فى سنة ١٩٢٩ الى ٥٥ ٪ فى سنة ١٩٣٣ الى ٤٧ ٪ فقط فى شهور سنة ١٩٣٤ .

أما تسايلايس ومصحته وطريقته فى العلاج فقد أثارت ضجة عظيمة فى الجرائد الأوربية عامة والنمساوية والألمانية خاصة بين سنتى ١٩٢٩ ، ١٩٣١ ، وقد اطلعت على بعض المقالات التى نشرت فى الجرائد الانجليزية تحت عناوين مختلفة ، منها مقالة فى « الديلى ميل » بتاريخ ١٧/١٢/١٩٣٠ تحت عنوان « عمليات بالآلة الكهربائية » أطرت فيها استخدام الكهرباء بدل المشرط فى العمليات الجراحيـة ، ومقالة أخرى طويلة فى Literary Digest تحت عنوان « معجزات النمساوى صاحب العصى السحرية » وغيرها مما لا يتسع المقام لتفصيله . وسنأتى فيما بعد على طرف من أخبار انتصاره على أساتذة الطب فى النمسا وألمانيا ، كما سنذكر شيئاً عن الطرق التى يستخدمها فى العلاج والأمراض التى يعالجها . .

عبد الحميد فهمى مطر

٣ - الشريف الأدريسى

يضع أقدم وأصح خريطة جغرافية للدنيا القديمة

للأستاذ محمد عبد الله ماضى

عضو بعثة تخليد ذكرى الامام محمد عبده بألمانيا

تتمـــة

١٣ – الاستاذ كونراد ميلر يعنى عناية خاصة بدرس خريطة الادريسى وطبعها طبعة ملونة لأول مرة .

لم تخف قيمة هذه الخريطة العلمية والفنية على علماء الجغرافيا المستشرقين ، فالكثير منهم قد اشتغل بدراستها فى مختلف العصور ، ولكنهم شغلوا أنفسهم بنواحى خاصة منها ، ولم يجر واحد منهم بحثا شاملا مستقصيا مع اعترافهم جميعا بمنزلتها وتقديرهم لها . وما زالوا على طريقتهم هـذه ولم يخرجوا عنها الى أن أتى الأستاذ كونراد ميلر فأجرى عن هذه الخريطة البحوث المستفيضة وكتب عنها الفصول الطوال التى استغرقت أعداداً كاملة من مجموعته العربية (Mappe Arabackae) تلك المجموعة التى ضمنها أبحاثه فى الجغرافية العربية ، ثم توج هذا العمل الجليل الذى نشكره عليه ونقدره له بطبع الخريطة سنة ١٩٢٨ لأول مرة طبعة ملونة . أبرزها فى تلك الحلة الفاخرة المتناسبة الأجزاء ، فدل على المدن بدوائر ملونة باللون الذهب ، ورسم الأنهار والبحيرات بلون أخضر فاتح ، والجبال بألوان مختلفة أحمر وأصفر وبنفسجى إلى جانب بعضها ، كل هذا فوق أرضية فاتحة اللون تدع نفسها متميزة بوضوح عن لون البحار المدلول عليه باللون الأزرق السماوى المموج بخطوط رفيعة بيضاء ، كما أنها تساعد على تحديد المسالك بعضها عن بعض بسهولة . ولقد كتب اسماءها بحروف لاتينية مميزاً الأقاليم السبعة بخطوط رفيعة حمراء وجعل طولها مترين وارتفاعها متراً تقريباً . وبهذا تكون مساحتها ⅘ مساحتها الأصلية التى قدمنا أنها كانت بطول ثلاثة أمتار ونصف متر ، وارتفاع متر ونصف متر تقريباً . هذا وقد يظن أن المساحة الأصلية كانت كبيرة بشكل زائد على اللزوم ، ولكن سوف يتلاشى هذا الظن إذا علمنا أنها تتضمن من أسماء المدن فقط التى كانت مابجة بالعمران فى ذلك العصر ٢٠٦٤ اسما : (٣٦٥)

بأوريقيا و (٧٤٠) بأوربا و (٩٥٩) بآسيا ، ويوجد بين هذه الأسماء كل أسماء المدن الشهيرة المهمة فى ذلك الوقت .

قبل هذه الطبعة لم تكن الخريطة موجودة بشكل تام مشتبكة الأجزاء بعد فقدان الأصل للخريطة الحائطية ، وإنما كانت موجودة فى قطع متفرقة داخل كتاب نزهة المشتاق أو مستقلة بذاتها . ومجموع هذه القطع الموجودة إلى الآن منها يبلغ ٢٥٥ قطعة كما ذكر الأستاذ ميلر ، توجد بمكاتب باريس وأكسفورد واستانبول ولينجراد والقاهرة ؛ وكانت هذه القطع من الأصل الذى طبع عنه الأستاذ ميلر تلك الطبعة التى بين أيدينا .

وهناك خريطة أخرى تدعى الخريطة الأدريسية الصغيرة طبعها الأستاذ ميلر كذلك فى مجموعته ، وهى ليست لصاحبنا الأدريسى وإنما هى لابنه محمد وضعها سنة ١١٩٢ ، واسمها روض الفرج . ولقد وجدها بعض الباحثين كذلك فى استانبول فى ٧٣ قطعة ، وإذا وازنا بينها وبين خريطة والده فاننا نجده قد أخذها صورة طبق الأصل عنها بشىء يسير من التغيير ، ومع هذا فقد فاتته عناية والده فى الرسم .

١٤ — خريطة الشريف الادريسى أقدم خريطة عالمية يعرفها التاريخ . موازنات بينها وبين بعض الخرائط وبيان مميزاتها

بقى أن نذكر مع الفخر والاعجاب أن الخريطة الأدريسية أقدم خريطة عالمية صحيحة كبيرة مفصلة وموضوعة بغاية الضبط والاتقان والوضوح عرفها التاريخ الى الآن . نعم لقد وصل إلى أيدى علماء الجغرافيا خريطة من عهد قياصرة الروم لها من العمر ضعف ما للخريطة الأدريسية وهى خريطة (بويتنجر) التى وضعت فى عام ٣٦٥ بعد الميلاد ، ولكنها ليست خريطة عالمية للدنيا القديمة كخريطة الأدريسى ، وإنما هى خريطة لبيان طرق المواصلات فقط ، فضلا عن أن المدن والمحطات التى ذكرتها أصبحت كلها أنقاضاً لايعرف لها أثر ، فالناظر إلى هذه الخريطة إنما يستطيع أن يتصور موضعها بالتقريب . وأما خريطة الأدريسى فهى فوق كونها عالمية تمثل الدنيا القديمة ، وبالرغم من أنها تبلغ من العمر نحو ثمانمائة سنة فكل المواضع التى ذكرتها يستطيع الباحث أن يعثر عليها ويثبت منها إلى الآن ، وما زال أغلبها يعرف بنفس الأسماء التى ذكرها الأدريسى إلى يومنا هذا . نحن لم نرث من العصر القديم خرائط جغرافية عالمية وإن كان قدماء اليونان قد وضعوا خرائط من هذا النوع مبنية على طريقة فلكية متقنة ، وأشهرها خريطة الدنيا لبطليموس التى تزيد على خريطة الأدريسى بألف سنة فى القدم ، ولكنها ليست خريطة للدنيا بالمعنى الذى نعرفه ولا على منهج خريطة الأدريسى تبين الممالك ومواقعها إلى آخر ذلك ، وإنما هى خريطة للدنيا بمعنى أنها تعطى نظرة عامة فقط عن الدنيا القديمة وتبلغ مساحتها ٣٥ سنتيمتراً فى ٥٢ سنتيمتراً . هذه الصورة التى أعطتها خريطة بطليموس ظلت معتبرة فى بلاد الشرق والغرب إلى آخر العصر المتوسط . ولقد أخذ الأدريسى حدودها واستعان بها عند وضع خريطته ، ولكن من حسن الحظ كما عبر الأستاذ ميلر أن الأدريسى قطع النظر بالكلية عما احتوته خريطة بطليموس بعد الصورة والتحديدات العامة تنفيذاً لأمر رجار الثانى ، نقول من حسن الحظ لأن الأسماء التى ذكرها بطليموس فى خريطته على كثرتها غير مطابقة للواقع بأكثر من ١٪ مع التسامح فى هذه النسبة ، وكذلك درجات العرض والطول المثبتة فى خريطة بطليموس تختلف عن الحقيقة بمئات من الأميال ، لهذا كان من الحكمة والسداد قطع النظر عما أثبت فى تلك الخريطة بالكلية ، وكذلك فعل الأدريسى ووصل بمجهوده المستقل إلى أن يعطينا صورة صحيحة مطابقة للعصر الذى عاش فيه بما لا ينتظر خيراً منه ، الأمر الذى جعل لتقسيمات الممالك فى الخريطة الأدريسية وللتقسيمات السياسية على الاطلاق قيمة علمية فائقة . نعم أظهر بطليموس مقدرة العالم الفلكى عند وضعه لخريطته فى الوقت الذى أثبت فيه درجات العرض والطول بناء على حساباته العلمية المبنية على القواعد بمقدار لم يصل إليه الأدريسى ، ولكن هذا لايغنيه شيئاً بجانب عدم التحرى للحقيقة . وعند الموازنة بين خريطته وبين خريطة الأدريسى نجد أن بطليموس أثبت خطوط العرض والطول معاً ولكنها تختلف عن الواقع بشكل غير مقبول . أما الأدريسى فانه أثبت درجات العرض فقط ولكن بعد قياسات صحيحة ، فهى مطابقة للحقيقة بمقدار يدعو القدر للخريطة الأدريسية علمياً إلى أن ينظر اليها بعين الاكبار والاجلال .

وأما خطوط الطول فقد ترك إثباتها الأدريسى عن قصد ، إذ تبين له أن مقادير المقاييس التى وصلت إليه غير صحيحة ، ولأنه لم يتيسر له بعد هذا إجراء قياسات أرضية لبيان درجات الطول وقياس الكرة السماوية ، وإن كان فى الاستطاعة فانه لايعطى نتيجة مقطوعاً بها .

هناك خريطتان أخريان

(١) خريطة Ebstorf نسبة للدير الذى وجدت فيه بمدينة هانوفر من أعمال ألمانيا .

(٢) خريطة Hereford التى وجدت باحدى كنائس هرفورد بانجلترا .

وهاتان الخريطتان بالرغم من أنهما وضعتا بعد الخريطة الأدريسية بمائة سنة فلم تكونا عملاً علمياً ، وانما كانتا عبارة عن تخطيطات زخرفية كما عبر الأستاذ ميللر ، تمثلان شيئاً من العصور السابقة لعصرها ، غير محتويتين إلا على شىء يسير من الجغرافية المعاصرة لهما .

لعل القارىء يتساءل الآن عن مقياس الرسم للخريطة الأدريسية ، وهنا أقول إن مقياس الرسم بالمعنى الحديث الذى نعرفه والذى بمساعدته يستطيع الانسان أن يعرف مساحة جهة من الجهات بقياس مساحتها فوق الخريطة ، مقياس الرسم بهذا المعنى لانجده فى خريطة الأدريسى ، وهو طبعاً لم يوجد فى جميع الخرائط القديمة ، وإنما وجد بعد وضع خريطتنا بمئات السنين . على أن الأدريسى قد أشار الى طريق الوصول الى معرفة مثل هذا المقياس الحديث . الأدريسى ذكر درجات العرض وقدر الدرجة بخمسة وعشرين فرسخاً ، والفرسخ بثلاثة أميال ، وعليه فالدرجة ٧٥ ميلاً ، ولكن الذى لم يذكر قدره الأدريسى هو الميل ، فان قدرنا الميل بما كان معروفا عند الروم وهو كيلو متر ونصف تكون الدرجة مقدرة عنده بـ ١١٢,٥ كيلو متر ، وبهذا يكون الأدريسى أعطانا مقياس الرسم لخريطته بشكل واضح .

فى الختام أريد أن أذكر لحضرات القراء بعض المميزات التى تزيد فى قيمة الخريطة الأدريسية ، وقيمة شرحها نزهة المشتاق :

(١) تجنب الأدريسى ذكر الخرافات التى كانت شائعة فى العصر المتوسط ، والتى تورط فى ذكرها غيره من المؤلفين . ولقد كان من حنكته أنه إذا ذكر شيئاً خارجا عن حدود العادة نسبه الى ناقله ، ثم أعقبه بكلمة احتياط كقوله : والقادر على كل شىء أعلم بما فى هذا من الحقيقة . ولم يرسم ما كان شائعاً رسمه عند علماء الجغرافية مما يمثل الغرائب الخرافية ، وطبعاً كان لتعاليم الاسلام الفضل الأكبر فى هذا .

(٢) انفردت خريطة الأدريسى بأنها هى الخريطة الوحيدة التى تعطينا صورة صحيحة عن البلاد الواقعة حول البحر القزوينى وصحراء العجم فى مدة من الزمن تبلغ نحو قرن ، هذه المدة التى لولا خريطة الأدريسى لظلت حلقة مفقودة فى تاريخ هذه البلاد .

(٣) إن خريطة الأدريسى وحدها هى التى مثلت لنا دولة الاسلام العربية وهى فى عصرها الذهبى ، تلك الدولة التى كان حظها حظ المائدة الفضية التى علم خبرها والتى قضى عليها فى وقت وجيز على يد التتار والمغول . فما لم تصل اليه يد جنكيزخان بالتدمير من المدن العربية وحضارتها الى عام ١٢١٩ ميلادية صفقته يد هولاكو التترى يوم ضرب العواصم الاسلامية ، وترك جنوده يعيثون فى بغداد فساداً فى فبراير سنة ١٢٥٨ سبعة أيام كاملة ، قتلوا فيها أهلها ، وخربوا عامرها ، وحرقوا كتبها أو أغرقوها .

ومن هذا الوقت تغيرت العواصم ، وتبدلت الأسماء ، وخلفت الدولة العربية دولة المغول والأتراك ، وأخذت الخرائط التى وضعت بعد ذلك وجهاً آخر جديداً . فالخريطة الأدريسية إذن هى آخر تمثال لدولة العرب الغابرة يلهمنا العظة ويحدثنا عن فتوحهم وعن مجدهم ونخارهم بأنصع عبارة وأجلى بيان .

وإننى فى الختام أدع الحكم على قيمة هذا العمل العلمى الكبير ، وعلى مجهودات الأدريسى ورجار المشكورة لرجل خبير درس الخريطة وشرحها « نزهة المشتاق » دراسة وافية ، لرجل لم يجر فى عروقه الدم العربى ، ولا مجال لاتهامه بالتحيز فى حكمه ، ذلك هو الأستاذ « كونراد ميللر » إذ يقول فى آخر بحث أجراه لشرح الخريطة ما معناه : « إن رجار الثانى والأدريسى بوضعهما لهذه الخريطة قد وضعا أهم حجر أساسى فى تاريخ انتشار العلم الانسانى . » واليكم عبارته بالنص الألمانى :

"Sicher ist, dass Kinig Roger II., und der Scherif Idrisi mit dieser Karte ein Werk geschaffen habcn, welches eine der wichtigsten Marksteine in der Geschichte der Ausbreitung des menschlichen Wissens darstellt."

أما كلمتى أنا فانى أوجهها الى ورثة الأمة العربية ، وأخص شباب مصر الناهض وأبناءها البررة العاملين ، أوجهها الى هؤلاء جميعاً بعد أن نشرت بين أيدى القراء صحيفة ناصعة من صحائف أسلافنا الامجاد ، وبعد أن عرضت عليهم بعض ما يجعلنا نعتز بتاريخنا ، ونفخر بماضينا ، وأناشد هذا الشباب المصرى ليجد فى العمل كل فى ناحيته راجياً أن نوفق فى مسعانا ، ونربط حاضرنا بماضينا لنصل بوطننا العزيز بمشيئة الله وعونه الى مكانه الذى أخذه فوق ذروة المجد ، وعلى قمة العلياء تحت قيادة مليكنا المحبوب قائد النهضة وحامل لوائها فى مصر والشرق .

محمد عبد الله ماضى

لننشد الجمال !

للأديب حسين شوقي

في مقدور شبابنا اليوم ولا شك أن يتعلموا في مصر تعلماً صحيحاً بفضل الجهود التي بذلتها حكوماتنا في السنوات الأخيرة لاستجلاب الفنيين والأساتذة الأعلام من الخارج . . حتى زادت بفضل ذلك نسبة المتعلمين في مصر زيادة عظيمة ، وهو أمر محمود بطبيعة الحال ، ولكن . . . مما يؤسف له عدم اكتراث أولياء الأمور المسيطرين على تربية النشء بتنمية الذوق . . أجل ، الذوق أهمل أمره في مصر إهمالاً شائناً . . . إنهم يزوّدون الشباب بمختلف العلوم ، ليدخلوا بها الحياة ، ولكنهم لا يحببونهم في الحياة نفسها . . إنهم لا يرشدون الشباب الى ما في الحياة من أسباب الجمال ، مع أن الحياة الخالية من الجمال هي طعام خالٍ من الملح . . .

يجب أن يتذوق الناشىء ما في الطبيعة التي تحيط به من جمال رائع ، لأنه كلما أنعم النظر فيها ، وتذوق جمالها ، ازداد عبادة للخالق تعالى وتقرباً منه ، فاستقامت بذلك أخلاقه بلا حاجة الى واعظ أو مرشد . . .

على طالب النبات قبل أن يدرس السماد الكيماوي الذي يزيد في إنتاج زهرة ما ، أن يشم عبق هذه الزهرة ، وأن يملأ ناظريه من ألوانها البهجة . .

كذلك على طالب علم الفلك المنهمك في تقدير عمر القمر ، أن ينظر قبل هذا الى جمال خيوط القمر الفضية وهي منعكسة على سطح الماء ، أو على رمال الصحراء ، وقد تلألأت كالماس النقيّ .

كذلك يجب أن يرشدوا النشء الى ما في الطبيعة من تآلف رائع غريب في الألوان ، سواء في الزهور أو في الحيوان . . حتى إذا كبر الطفل . . صار ذوقه سليماً ، فلا يلبس مثلاً حذاء أبيض على رداء أسود . . .

كذلك ليتهم أرشدوا الأبناء الى العناية بالطعام ! يجب أن يتعوّدوا تنسيق المائدة بالأزاهير الناضرة ، حتى يدخلوا الغبطة على قلوبهم . أليس لنا أسوة في آبائنا الأولين — المصريين القدماء — الذين كانوا يتناولون الطعام على أنغام الموسيقى الشجية . تلك العادة اللطيفة التي ورثها عنهم الأوربيون ؟ . .

كذلك يجب اهتمام النشء برشاقة أجسامهم ، فحذار ثم حذار من السمن الذي يشوه الشباب ، فضلاً عن أنها مضرة بالصحة إذ تسبب مع الزمن أمراضاً كثيرة للجسم . .

ويا حبذا لو شجعوا ميول الشباب منذ الحداثة الى الفنون الجميلة ! . فاذا آنسوا مثلاً ميلاً في طفل الى عادة التصفير لقنّوه الموسيقى .. وإذا رأوا في آخر حب إقتناء الصور علموه الرسم . .

أذكر بهذه المناسبة الواقعة المؤلمة الآتية التي حدثت منذ سنوات قليلة لأحد طلبة الطب الشرقيين في لوزان :

كان هذا الطالب يكشف على مريض تحت إرشاد أستاذه ، فلم يرق للأستاذ طريقة نقر الطالب على بطن المريض ، بل وجدها غليظة فقال له :

انقر على بطنه كأنك تلعب على البيانو . .

فأجاب الطالب : ولكني لا أعرف البيانو . .

— إذن أي فرع من الموسيقى تعرف ؟ .

— لم أتعلم الموسيقى بتاتاً ! ! .

— إذن كيف قضّيت شبابك ؟ .

فخجل الطالب ولم يعرف كيف يجيبه . .

كذلك علينا أن نوفر على النشء في المستقبل ، مشاهدة بعض المناظر المؤلمة في مجتمعنا الحاضر . .

ويا لله مما في مجتمعنا من مضحكات ! .

هذا مغرم بالمظهر . . يقتني سيارة فخمة تبهر الأنظار ، بينما الدجاج يسرح في حجر داره . . وأثاثه ليس له طراز معروف ، وإنما هو طراز « الشيخ أحمـــد » كالذي يفرش في المآتم والأفراح . .

وذاك يبني داراً فخمة ، فلا يترك مكاناً لحديقة ، إذ ماله ومال الأزهار والأشجار وهي لا تزيد على كونها حشائش في نظره تنبت بكثرة في أطيانه الواسعة ؟ . .

كرمة ابن هاني   حسين شوقي

في الأدب الدرامي

٩ - الرواية المسرحية

في التاريخ والفن

بقلم أحمد حسن الزيات

الملهاة La comédie

تعريفها: الملهاة تمثيل حادث منتزع من الحياة العامية يبعث اللهو ويثير الضحك. وموضوعها الجهة الوضيعة من طبائع الناس وعادات المجتمع ونقائص الحياة. أما جهة الانسان الرفيعة ونكبات الدهر الفظيعة وجرائم الهوى السفيه فموضوع المأساة. ويخيل إلى أن الفرق بين الملهاة والمأساة لا يزال غير واضح ولا محدد، فيحسن هنا أن نفصل القول فيه. فالملهاة تختلف عن المأساة في المبدإ والواسطة والغاية. فمبدأ المأساة حساسة الانسان وشعوره، وواسطتها التأثير، وغايتها الرهبة من الهوى المضل، والرعب من الجرم الفظيع، والرغبة في الخلق الكريم. وأما الملهاة فمبدأها خباثة الانسان وضعفه، وواسطتها السخرية والضحك، بأن تنظر إلى عيوب الناس نظرة الضاحك الساخر مادامت غير مؤلمة فتثير الرحمة، ولا محنقة فتثير البغض، ولا مخطرة فتثير الفزع. ثم تصور هذه النقائص بمهارة ودقة، وتستعين على تقوية هذه الصورة بالمفارقات والمفاجآت لتكون مثاراً للاستهزاء والضحك. ولا ريب انه كان أجدر بنا وأنفع لنا أن نقابل عيوب الناس بالرثاء الأخوى والنظر الفلسفي بدلاً من هذه الضحكة الهازئة، ولكنهم وجدوا أن أقرب الطرق وأنجع الوسائل أن يستخدموا فساد بعض الناس في إصلاح فساد الآخرين، كما تستخدم ذبابة الحجر من الماس في صقل الماس نفسه. وإصلاح العيوب بالعيوب هو غاية الملهاة. ومن الناس من يفرق بين الملهاة والمأساة بكيفية الأشخاص وكمية العواطف، فيقولون إن أشخاص المأساة من طبقة الخاصة، وأشخاص الملهاة من طبقة العامة، وإن درجة العواطف في الأولى قوية وفي الأخرى ضعيفة، وذلك فرق لا يميز ولا يوضح، لأن الآلهة والملوك قد يتخذون في بعض الأحيان أضاحيك كما ترى في رواية (امفتريون) Amphitryon لموليير، ولأن اليأس القاتل الذي استولى على بخيل موليير حينما فقد خزانة ماله، لا يقل في درجته وشدته عن يأس فيلوكتيت [1] سوفوكليس حينما خطفوا منه سهام هرقل.

إن النوازل الفادحة والمهالك الجائحة والعواطف الخارقة مرايا المأساة ودلائلها، ولكن المنافع الخاصة والأخلاق العامة والعيوب الشائعة كيان الملهاة وخصائصها. فالأولى صورة من التاريخ، والأخرى صورة من المجتمع، والرذيلة لا تدخل في باب الملهاة إلا وهي مضحكة محتقرة. فاذا كانت ممقوتة مضرة دخلت في باب المأساة. فموليير جعل المنافق المحتال شخصاً مضحكاً في (ترتوف)، وشكسبير جعله شخصاً محزناً في (جلوستر)، وذلك بالطبع راجع إلى طبيعة النفاق والحب في الحالين.

سبب الضحك في الملهاة: سبب الضحك هو خطأ حقيقي أو ظاهري لا ضرر منه ولا تبعة له. فنحن إنما نضحك إذا لحظنا بين الشيء وبين الواقع اختلافاً لا يكون فيه مضرة لأحد.

فالرجل المفلس الذي يظن نفسه كفؤاً لأن يعلم الناس جمع الثروة، والشيخ المتهدم الفاني الذي يتصابى في مشيته، ويتظرف في لهجته، يبعثان على الضحك ويستوجبان السخرية، لأنهما يريان الأشياء على غير حقيقتها. والدمامة في ذاتها ليست مضحكة، وإنما تصبح كذلك إذا ظن الدميم نفسه جميلاً، أو رجا أن يظنه الناس كذلك. ولهذا السبب نفسه نضحك من اريجون بخيل موليير حين يطلع على خزانته ما يقوله له ڤالير عن ابنته، وكذلك نضحك من (مينالك) لابروير حين أخذ نعله وهو يحسبه كتاب القداس كما حدث لأحد إخواننا من المعلمين الكهول إذ وضع «د...

(١) فيلوكتيت مأساة شهيرة لسوفوكليس، وعلم على بطل من أبطال طروادة النابهين. أوصى إليه هرقل عند موته بسهامه المسمومة. وبينما هو في طريقه إلى طروادة جرحه سهم منها. ونغل الجرح فسطعت منه رائحة منتنة لا تحتمل. فبرم به القوم وخلفوه وحده في جزيرة لمنوس فلبث بها عشر سنين. فلما أعلنت الآلهة ان طروادة لا تؤخذ إلا بسهام هرقل، ذهب إليه أوليس وديوميد يبحثان عنه فيها، فلما لقياه خطفا منه السهام وعادا إلى طروادة.

«التحضير» فى شباك المرحاض بجانب قطعة بالية من قفة خوص. ولما قضى أمره سها فأخذ (البرش) بدل الدفتر، ودخل به الفصل فكركر التلاميذ فى الضحك من هذا السهو الغريب.

على أن حدوث السهو أو الخطأ من إنسان لا يكفى فى حدوث الضحك، بل لا بد أن نلحظ ذلك الخطأ منه، وندرك التباين بين فكرته عن الشىء، وبين حقيقة ذلك الشىء نفسه. فاذا اتفق أن أحد الناس لم يفطن الى هذا الخطأ لفتور ذهنه أو قلة علمه بقى جاداً لا يضحك ولا يبتسم. وذلك سبب ما نرى من أن الشىء يضحك بعض الناس ولا يضحك البعض الآخر. ولا يلزم أن يكون الخطأ المضحك حقيقياً، بل يكفى أن نراه نحن كذلك، أو يتظاهر المضحك بأنه غلط فى شخص أو فى شىء. والمازح إذا أراد أن يمزح فانما يدعى الحماقة والسذاجة وهما مصدر السهو والخطأ. كذلك يجب ألا يكون لهذا الخطأ تبعة محزنة ولا نتيجة مشئومة كما ذكرت من قبل، وإلا أثار الرعب والاشفاق، بدل أن يثير الجذل والضحك. فميروب حين أخطأت فى ولدها فظنته قاتلاً، وأرادت أن تقتله لم يضحكنا ما تفعل، وإنما ملأ قلوبنا رعباً وخشية؛ والمتكبرون لا يضحكون من أنفسهم إذا أخطأوا، لأنهم يجدون فى هذا الخطأ جدعاً لكبرهم وإهانة لصلفهم فيتألمون.

ومنشأ الخطأ الذى يولد الضحك إما نقص فى الخلق، وإما ضعف فى الذكاء، وإما ظروف خارجة عن شخص المخطىء. والخطأ يستتبع فى أكثر الأحوال أقوالاً وأفعالاً تخالف المرعى من العادة أو العرف أو القوانين أو الذوق؛ وتلك هى السمات التى تحدد لك أخلاق الملهاة. ففى ملهاة (المتوحش) لموليير تجد كل ما يقوله (ألسِسْت) ويفعله مناقضاً للعادات الجارية، لأنه فقد قوة الحكم على الأشياء، فبالغ فى تقدير الفضيلة الى حد أن يرى فيما أجازه العرف وأمضاه خطورة ليست فيه.

أنواع الملهاة: الملهاة ثلاثة أنواع: وهى الملهاة الاشكالية La comédie d'intrigue وتؤلف من الحوادث المضحكة الغريبة المتشابكة المعقدة التى تأخذ على المشاهد أنفاسه وتملك حواسه، حتى تنتهى بحل مرغوب غير متوقع. فالحوادث روحها وقوتها. أما وصف العادات، وتصوير الأخلاق، فهما فى المحل الثانى منها، كملهاة المريض الواهم، والطائش، والحضرى الشريف لموليير، والملهاة الاجتماعية La comédie de moeurs وتؤلف من الهزؤ بخبال الناس وسخف المجتمع، وتصوير ما أحدثته العادات السيئة فى الأخلاق من تشويه ومسخ، وذلك فى طبقة خاصة وعصر معين. ويجب أن يكون كل شىء فيها مهيئاً ليظهر مع غيره عيباً من عيوب الاجتماع. فالحوادث تختار عن قصد لبلوغ هذه الغاية، والظروف ترتب بدقة لأحداث هذا الأثر، والفرد يكبر ويعظم حتى يتضمن الجنس بأسره، والحوار يجرى على طريقة تبرز فكرة المؤلف واضحة فى كل خطاب وجواب، كالمتحذلقات السخيفات لموليير، ونصف العالم، ومسألة النقود، والأب المبذر، لاسكندر دوماس الصغير. والملهاة الخلقيـة La comédie de caractére وهى تهاجم العيوب والنقائص المسيطرة على الأخلاق فى كل زمان ومكان، ونزعتها الى الافادة والامتاع أقوى منها إلى السخر والاضحاك. كالبخيل، وترتوف، والمتوحش لموليير. وهذا النوع أنفع الأنواع الثلاثة وأقواها وأصعبها. فأما أنه أنفع، فلأنه يرجع الى مصادر العيوب وأصولها فيهاجمها فى مبادئها ومناشئها؛ وأما أنه أقوى فلأنه يقدم الى الناس المرآة فيخجلهم من صورهم ويضحكهم من أنفسهم، وأما أنه أصعب فلأنه يطلب من المؤلف دراسة عميقة للأخلاق، وبصيرة نافذة فى الملاحظة، وخيالاً قوياً ليجمع شتات الملحوظات الكثيرة فى نقطة واحدة.

هذه هى أنواع الملهاة الثلاثة، دون أن نعد منها تلك الأنواع التى تعتمد فى الاضحاك على النكات اللفظية، أو على المواقف الخليعة المجونية، فانها بضاعة الأذهان الكليلة، والأذواق السقيمة. ولها مع ذلك اسم غير هذا الاسم وموضع غير هذا الموضع. على أن هناك نوعاً رابعاً هو أسمى من تلك الأنواع وأقوى. ذلك هو الملهاة المختلطة التى تستوعبها جميعاً. فتجمع الى هزل المواقف هزل الأخلاق والعادات، فترى فيها الأشخاص مدفوعين بضعف عقولهم، أو مرض قلوبهم الى أن يقفوا مواقف مخزية تعرضهم الى سخر المشاهدين واحتقارهم. كالموقف الذى وقفه أرباجون بخيل موليير مع ولده حينما أقبلا يتعاملان بالربا دون أن يعرف أحدهما الآخر، فكانت مقابلة الأب المرابى والابن المبذر من سخريات الحياة وغرائب الأمور.

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

بين فتاتين

فصل من رواية لم تنشر

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

أفاقت « خيرية » — في غرفتها — على صدر « سارة » ، أو لعل الأصح والأقرب إلى الصواب أن نقول إنها استعادت سكينة نفسها فيما ترى العين ، بعد أن أسبلت ملء حفنةٍ من الدموع روت بها زهور خديها النضيرين ، وأصارت أرنبة أنفها كالجزرة . وفي قليل من البكاء شفاء للصدر وجلاء للبصر ، وغنى عن المساحيق !

وأحست « سارة » بانتظام أنفاسها فضمتها إليها في رفق وحنان ، فجاوبتها « خيرية » بضغطة خفيفة . وطاف برأسها وهي تفعل ذلك أن لو كان هذا صدر شاكر ! ؟ ! وتنهدت كالمتحسرة ، وذهبت تتصور ساعديه القويين على خصرها يهصرانه ، وثدييها يُعْصران على ثندوتيهما (1) ، وأنفاسه على شعرها ، وكلامه العذب في أذنها . فأخذها من هذا الخاطر مثل الدوران في رأسها ، وأظلمت عيناها ، وشعرت بمثل النار تندلع في أحشائها وترقى إلى صدرها ونحرها وتأخذ بكظمها ، على حين كانت تحس بالبرد في قدميها .

(1) الثندوة مغرز الثدى وما حوله من لحم الصدر .

وشدت « سارة » على خصرها في هذه اللحظة الحافلة بالاحتمالات ، فرفعت « خيرية » وجهها المضطرم ونظرت إلى صاحبتها بعين ثابتة الحملاق إلا أن عليها كالضباب فهي لا تبصر ، وأقبلت على فمها تقبله -- قبلة حارة طويلة عصرت فيها روحها ونسيت نفسها ، وإذا « بسارة » تهتز وتنتفض وترسل راحتها تتحسس علواً وسفلاً ، و « خيرية » كالسكرى : تضم ، وتثني ، وتبوس ، وتمسح الخد بالخد ، وعينها مغمضة ، وأصابع يمناها تتقبض على لحم « سارة » والأخرى تعبث بشعرها وتتخلله وتشده ، وهما في عناقهما تميلان يمنة ويسرة ، وتقبلان إلى الأمام تارة ، وتنثنيان إلى الخلف طوراً ، وتزحف كل منهما إلى صاحبتها كأن بينهما متسعاً فتتزحزحان على الطارقة (1) حتى تهاوتا فتحاجزتا ، وصار صدراهما كالخضم المضطرب .

وقالت « سارة » بصوت يذوب من الرقة :

« أحسن ؟ »

فدانت « خيرية » بين جفونها وألقت إلى صاحبتها — بمؤخر عينها — نظرة فيها من الرضى والشكر والرجاء معانٍ ، وكانت كلتاهما مضطجعة ، فمدت « سارة » يدها وتناولت راحة « خيرية » وأطبقت عليها أصابعها — في صمت — وظلتا هكذا برهة ، ثم شخصت « سارة » إلى السقف وقالت كأنما ترى من تخاطبه فيه « ليتك كنتِ أخاك ! » .

ثم ثنت إلى « خيرية » وجهاً ينضح بالبشر ويغري بالعبث والمصارحة ، فرفعت « خيرية » حاجبيها وأمالت رأسها على الوسادة ثم ردت وجهها إلى سارة وقالت :

إنك سعيدة ياسارة . . . »

فسألتها « سارة » :

« وأنت ؟ . . »

قالت خيرية « موزعة . . »

(1) الطارقة السرير الضيق وقد اخترتها للكنبة .

ماذا يجب في عمل الملهاة : إن الغرض الذي يتوخاه واضعو القواعد للعمل الروائي هو التقريب بين الافتراض والحقيقة . وأقوى الوسائل إلى هذا التقريب هي قاعدة الامكانية . ولما كان عمل الملهاة منتزعاً من العادات المألوفة ، والأخلاق المعروفة ، والنكتة الحاضرة ، كان بعده عن الحقيقة ، ومخالفته للواقع أمراً سهل الملاحظة صعب الاحتمال . لذلك وجب أن تراعى القواعد في الملهاة مراعاة شديدة ، وعلى الأخص وحدة العمل ، واستمرار الخلق ، وسهولة الأسلوب ، وبساطة التعقيد ، وطبيعة الحوار ، وصدق العاطفة . وقوة الفن في إخفاء الفن ، بحيث يكون كل ما يحدث ويقال على المسرح صورة ساذجة للمجتمع حتى ينسى الشاهد أنه في مشهد من مشاهد التمثيل ، لأن الصورة إذا رسمتها يد عاجزة اتجه فكرك فيها بعد النظرة الأولى إلى الرقعة والألوان والأطار . قبل أن يتجه إلى التدوير والنتوء والبعد .

يتبع (الزيات)

– موزعة ؟

– نعم ! ... وعسى أن أكون واهمة ... ولكنه يخيل إلىّ أحياناً أنى أحب « عبده » وهو لا شك يحبنى ... على طريقته ... حباً صامتاً ... أخرس ... يحيرنى ... أعنى ياسارة انه يحرك نفسى لحظة ثم يدعها فارغة لا أثر فيها له ... ليس عنده كلام يقوله ... ينظر إلىّ كأنه يشتهى أن يأكلنى بعظامى ... فهو يخيفنى ويفزعنى ، ويسحرنى أيضاً ويجذبنى حين يفتح علىّ عينه بهذه النظرة المنهومة ، ولكنه يخيفنى أكثر مما يسحرنى ... آه لو كان ينطق ... ! ولكنه لا يعرف الكلام ... ولا المغازلة .

... جسمه ضخم ولسانه أبكم ... فهو قوة مرعبة ... لو كان رق فينفى الخوف !

... لو كان يشعرنى أن الحب يلينه أو يذيبه قليلاً ؟ ... ولكنه ليس مثل ... »

وأمسكت ، ونزعت يدها من يد سارة ، وظلتا مفترقتين برهة وهما تفكران فى الغزل ! « خيرية » فى بكم عبده وفى خلو حبه من هذا العنصر الذى يلطف الوقدة ، ويخفف الحدة ، ويسلب العاطفة المشبوبة لذعها وكيها ، ويجعل الحديث أحلى من التقبيل والعناق . أما « سارة » فقد فتح لها كلام « خيرية » باباً جديداً من التفكير أعانتها دراستها العلميـــة على ولوجه ، فراحت تقول لنفسها إن الغزل ليس عبثاً ولا تكلفاً ، وإن الرقة فيه واجبة وليست ضعفاً ، وإن الطبيعة لا تزال تطلب التوازن وتسعى له وتحدثه ، فلولا رقة الرجل القوى ، فى غزله ، لأرعب المرأة حبُّه ولما احتملته ، وهو حين يجثو أمامها ويريح خده على ساقها ، أو يناجيها بهواه ويشكو إليها ضعفه عن احتماله ، ويصف لها ضيق صدره بما يجن ، وقلبه بما يجد ، ويتذلل لها ويتوسل اليها ، انما يفعل ذلك بغريزته ليعتدل الميزان ، فيذهب عن المرأة الخوفُ من قوته ، وتشعر أن فيه موضع ضعف تستطيع أن تستغله وتقاوم به طغيان القوة ، وعلى قدر ما يبدى الرجل من الرقة فى موقف الغزل والمناجاة تحس المرأة أنها قوية وأنها كفء له ، فتطمئن وتعتقد أنها نده ، وإن كان فى ظاهره أقوى ، وتبادله حباً بحب غير مكرهة ولا محمولة على ذلك ، ولا شاعرة بتفريط فى كرامتها أو تضييع لشخصيتها أو محو لارادتها . .

ولم يشعرا أن الصمت طال بينهما أو أن الحديث انقطع لما قالت « سارة » بعد ذلك :

« ولكنك تحبينه . . ! لا شك فى ذلك »

فقالت « خيرية » بلهجة المفكر لا المستفسر .

« هذا ظنك ؟ »

قالت « سارة » :

« لقد كنت تفكرين فيه ونحن متعانقان »

فاعتدلت « خيرية » فى جلستها ، وواجهت « سارة » وقالت بلهجة حازمة :

« كلا . . أبداً » .

فوضعت سارة يدها على كتف صاحبتها وقالت :

« تعالى . . تعالى . . اطرحى عن صدرك هذا العبء . . . لماذا لا تبادليننى حبى ؟ »

فسألتها خيرية وهى تضحك :

« أتحبيننى ؟ »

« أتسألين ؟ »

« أعنى لحمادة ؟ »

« لا أزعم ذلك ولكنى أحببتك »

« من أجله ؟ لأنى أخته ؟ »

« لذاتك »

« صحيح ؟ »

« أتشكين ؟ »

« لا أشك . . ولكنى غيره . . أعنى أنى فتاة مثلك »

« وما دخل هذا ؟ ماقيمته ؟ ألم نكن نتعانق على حب قبل دقائق ؟ قد يختلف الغرض من الحب أو نوع الاحساس به ولكنه يظل حباً »

« سارة ! »

« نعم »

« لا أدرى كيف أقول . . إنى لم أعرف من هو إلا الليلة »

ودفنت وجهها فى راحتيها فصاحت بها « سارة »

« أهو ذاك ؟ »

فرفعت « خيرية » رأسها كأنما تتحدى الدنيا والناس وقالت

وهى تسوى شعرها وترد عن جبينها خصله

« نعم . وقد عرفت الآن »

فقالت « سارة » باخلاص :

« يا حبيبتى هذا أسعد يوم فى حياتى . أنا لأخيك . وأنت لأخى »

فقالت « خيرية » وهى تكاد تبكى :

« كيف يمكن ؟ كيف يمكن ؟ إنه لم يرنى قبل اليوم إلا مرة واحدة ! »

فسألتها « سارة » وهى تنظر اليها نظرة من يُحْيى ذكرى تمعن فى الغمض :

« قبل اليوم ؟ أتعنين . . ؟ »

قالت « نعم كنت خارجة من سمعان فعثرت . . »

فصاحت بها سارة وقد صح ظنها :

« هو أنت ؟ »

« أهو أنا ؟ ماذا تعنين ؟ »

أعنى أنك فتاته التى يحبها ويبحث عنها . . يا لسعادتى »

فتعلقت بها خيرية وأمطرتها وابلاً من الأسئلة ، وسارة تضحك ولا تعرف كيف تجيب ، وإذا بحمادة ينقر ويسأل قبل أن يسمع الاذن بالدخول

« سارة ! ما هذا الذى يقوله عبده ؟ »

فوثبت الفتاتان ووقفتا مبهوتتين من المفاجأة ، واحتاج حمادة أن يعيد سؤاله

« أهو صحيح ؟ »

فقالت « سارة » وهى تبتسم له وترف : « ماذا يا روحى ؟ »

فأذابته ابتسامتها وراح يتلعثم

... أ ... أ ...

فقالت سارة « تعال يا حبيبى ... أم نخرج ؟ ؟ أظنه آن لى أن أخرج . بكرهى يا روحى ... فتعال احملنى الى سيارتك ... وفيها ... الى بيتى »

فنسى حمادة ما أفضى به اليه عبده ...

ابراهيم عبد القادر المازنى

من الأدب الأندلسى :

٢ – التوابع والزوابع

بقلم محمد فهمي عبد اللطيف

دخل ابن شهيد وادى الجن ، ورغب فى البدء بلقاء الشعراء على ما بيّنا فى المقال السابق ، وقد حدّثنا الرجل أنه طلب من صاحبه زهير بن نمير أن يقدمه أول ما يقدمه إلى تابع امرىء القيس ، وإنما حق له هذا ، أولاً : لأن امرىء القيس سابق فى عمر الزمن ، وحساب الأيام ؛ وثانياً : لأن النقاد جميعاً على أنه أمير الشعراء فى العصر القديم ، وشيخهم الذى أوضح لهم الطريق ، فهو مقدم بالطبع والوضع كما يقول المناطقة ، ولم يرد ابن شهيد أن يخرج على ماقضت به الأيام ، وما تواضع عليه النقاد ، فأنزل الرجل منزلته المقررة ، ووضعه فى مكانته المعلومة ، ولذا قدمه على نفسه فى الأنشاد ، ووصفه بتطامح الطرف ، واهتزاز العطف ، علامة الغرور والثقة ، وأخذته الهيبة منه ، فهم بالحيصة والهرب من أجازته ، لولا أن شدّ فى قوى نفسه ، وأنشده ما أنشد .

وعلى هذا النهج راح ابن شهيد يتحدث عن توابع الشعراء واحداً بعد واحد ، ويقرر ما وقع له معهم ، وما جرى بينه وبينهم من الأنشاد والمساجلة ، وهو فى أثناء ذلك يعرض بالتصوير لأحوال الشعراء ، ويهتم بوصف نفسياتهم وميولهم ويشير إلى ما اشتهر عنهم فى أخلاقهم وسلوكهم وآرائهم ، تارة بالتلميح وطوراً بالتصريح ، ومن حين لآخر تجده يجمل كلامه بالنادرة المستملحة ، فيجعل القارىء يقبل عليه فى سرور وائتناس ؛ استمع اليه وهو يحكى ما وقع له مع « بغلة » من التوابع أقبلت تحكمه فى شعرين لبغل وحمار اختلف فيهما الفريقان ، فقال لها حتى أسمع ، فقالت الشعر الأول لبغل من بغالنا وهو :

على كل صب من هواه دليل
سقام على جد الهوى ونحول
وما زال هذا الحب داء مبرحا
إذا ما اعترى بغلاً فليس يزول

بنفسى التى أما ملاحظ طرفها
فسحر، وأما خدها فأسيل!!
نعبت بما حملت من ثقل حبها
وإنى لبغل للثقال حمول!
وما نلت منها نائلاً غير أنها
إذا هى بالت بلت حيث تبول

والآخر لدكين الحمار وهو:

دهيت بهذا الحب منذ هويت
وراثت اراداتى فلست أريث
كلفت بالفى منذ عشرين حجة
يجول هواها فى الحشا ويعيث
وغيرٌ منها قلبها لى نميمةٌ
نماها أحم الخصيتين خبيث
وما نلت منها محرماً غير أنها
إذا هى راثت رثت حيث تروث

قال ابن شهيد: «فاستضحك زهير وتماسكت، وقلت للمنشدة ما هويث؟ قالت: هويت بلغة الحمير؛ قلت والله ان للروث لرائحة كريهة، ولقد كان أنف الناقة أجدر أن يحكم فى الشعرين، فقالت فهمت عنك» ثم يتفكه ابن شهيد فى القول أكثر فيقول «وقالت لى البغلة: أما تعرفنى أبا عامر؟ قلت لو كان ثم علامة، فأماطت لثامها فاذا هى بغلة أبى عيسى، والخال على خدها فبكينا طويلا! وقد أخذنا فى ذكر أيامنا فقالت: ما أبقت الأيام منك؟ قلت ما ترين! قالت: شب عمرو عن الطوق! وما فعل الأحبة؟ قلت شب الغلمان، وشاخ الفتيان، وتنكرت الأخلاق ومن إخواننا من بلغ الأمارة، وانتهى الى الوزارة؛ فتنفست الصعداء، وقالت؛ سقاهم الله سبل العهد، وان حالوا عن العهد، ونسوا أيام الود . . »

فالرجل كما ترى فكه ظريف، وفى رسالته كثير من الفكاهات والنوادر، وكلها على غرار هذه الفكاهة ملاحة وخفة وطرافة، وإنما براعة الرجل تظهر أكثر فى تصويره — كما قلنا — لأحوال الشعراء والكتاب، ووصف ميولهم، والتحدث عما جرى له معهم، ولعل من أعذب ماله فى ذلك، وصفه لما جرى بينه وبين صاحب أبى نواس، ذلك الشاعر الذى قطع العمر فى نشوة السكر، وشرك الخمر، واستطراده فى الحديث عن «دير حنة» مقام هذا الشاعر وما اشتمل عليه من الرهبان والغزلان!! فقد أجاد الرجل فى ذلك وأبدع؛ أنظر اليه وهو يصور ذلك فيقول «ثم قال لى زهير فمن تريد، قلت صاحب أبى نواس قال هو «بدير حنة» قد غلب عليه الخمر، فركضنا ساعة، وجزنا فى ممرنا بقصر، فقلت لمن هذا القصر يازهير؟ قال لطوق بن مالك أبى الطبع صاحب البحترى، فهل لك أن تراه؟ قلت: أجل، إنه من أساتيذى وقد كنت أنسيته، فصاح يا أبا الطبع، فخرج لنا فتى على فرس أشهب وبيده قناة، فقال له زهير: إنك موفق، قال لا، صاحبك أشمخ مارنا من ذلك لولا تنقصه!! قلت يا أبا الطبع إن الرجال لاتكال بالقفزان، وأنشدنا من شعرك فأنشد:

ما على الركب من وقوف الركاب[1]»

حتى انتهى منها، ثم قال هات أنت شيئاً فأنشدته:

«هذه دار زينب والرباب»

حتى أتيت فيها الى قولى:

فكأن النجوم بالليل جيش دخلت للكمون فى جوف غاب
وكأن الصباح قانص طير قبضت كفه برجل غراب

فكأنما غشى وجه أبى الطبع قطعة من الليل، وكر راجعاً الى الوراء دون أن يسلم، فصاح به زهير أأجزته؟ قال أجزته لا بورك فيك من زائر!!

قال ابن شهيد «ثم سرنا حتى انتهينا الى «دير حنة» فضرب زهير الأدهم، فسار بنا فى قنته، ففتق سمعى قرع النواقيس فقلت فصحت عن منزل أبى نواس ورب الكعبة، وسرنا نجتاب أدياراً وكنائس وحانات الى دير عظيم تعبق روائحه، وتضوع نوافحه، فوقف زهير ببابه وصاح به: سلام على أهل «دير حنة» فأرقلت نحونا الرهبان مشدودة الزنانير، قد قبضت على العكاكيز، مبيضة الحواجب واللحى! مكثرين للتسبيح، عليهم هدى المسيح، فقالوا أهلا بك يازهير من زائر، وصاحب أبى عامر، ما بغيتك؟ قال «حسن الدنان»، قالوا: إنه لفى شرك الخمر منذ أيام عشرة، وما نراكما منتفعين به، فقال وعلىّ أنا ذلك، ونزلنا وقادنى الى بيت قد اصطفت دنانه، وعلقت غزلانه، وفى دير حنة شيخ طويل الوجه والسبلة، قد افترش أضغاث الزهر، واتكأ على زق خمر، وبيده طرجهارة وحواليه

(١) مطلع قصيدة للبحترى يمدح فيها اسماعيل بن شهاب ونصفها فى الغزل والتشبيب والنصف الآخر فى المديح.

صبية كالظباء ، فصاح به زهير: حياك الله أبا الأحْسان ، فجاوب جواباً لا يعقل لغلبة الخمر عليه ، فقال لى زهير : اقرع أذنيه باحدى خمرياتك ، فانه ربما تنبه لبعض ذلك ، فصحت أنشد :

ولربّ حان قد شممت بديره
خمر الصبا مزجت بصرف عصيره
فى فتية جعلوا السرور شعارهم
متصاغرين تخشعاً لكبيره ! !
والقس مما شاء طول مقامنا
يدعو بعود حولنا بزبوره
وترنم الناقوس عند صلاتهم
ففتحت من عينى لرجع هديره

فصاح من حبائل نشوته . أأشجعى ؟ قلت : أنا ذاك ، فاستدعى ماء قراحا فشرب منه وغسل وجهه فأفاق ، واعتذر الىّ من حاله ، فأدركتنى مهابته ، وأخذت فى إجلاله لمكانه من العلم والشعر . . »

فهذه صورة دقيقة ، تشتمل على حال أبى نواس كأنك تراه ، وتمثل أمامك « دير حنة » بغزلانه ورهبانه تمثيلا رائعاً كله براعة وقوة ، والواقع أن ابن شهيد لم يستمد هذه الصورة من خياله ، ولكنه صورها من الواقع ، ونقلها كما رأى وأبصر ، فقد كان هذا الرجل ولوعاً بالتردد على كنائس النصارى فى قرطبة لايتحرج من المبيت فيها مع الرهبان ، يرشف الكأس ، ويبهج النفس ، ومن ذلك « أنه بات ليلة بأحدى كنائس قرطبة ، وقد فرشت بأضغاث آس ، وعرشت بسرور وائتناس ، وقرع النواقيس يبهج سمعه ، ، وبرق الحميا يسرج لمعه ، والقسّ قد برز فى عبدة المسيح ، متوشحاً بالزنانير أبدع توشيح ، قد هجروا الأفراح ، واطرحوا النعم كل اطراح :

لا يعمدون الى ماء بآنية ... إلا اغترافا من الغدران بالراح

وأقام بينهم يرشف حميا ، كأنما يرشف من شفة لميا ، وهى تنفح له بأطيب عرف ، كلما رشف أعذب رشف ، ثم ارتجل (1) فى وصف ذلك هذه الخمرية ، التى قرع ببعضها سمع أبى نواس ، فتنبه من حبائل نشوته ، وصحا من سكرته ! !

وابن شهيد يذكر أنه تقابل فى طريقه بصاحب البحترى بعد أن قد أنسيه معأنه من أساتيذه . ويذكر أنه أجازه فخذله حتى لقد هرب بخزى «وكر راجعاً الى الوراء دون أن يسلم» وهذه شنشنة ابن شهيد مع كثير من الشعراء والكتاب ، خصوصاً شعراء المشارقة وكتابهم ، فهو يحدّث أنه التقى « بزبدة الحقب » تابع بديع الزمان ، وبعد أن تمّ التعارف بينهما ، طلب منه ابن شهيد أن يجرى على سمعه وصفه للماء ، فتطاول زبدة بذلك الوصف ، وقال إنه من العقم بحيث لا يبلغه أديب ، ثم انطلق يقول . « أزرق كعين السنور ، صاف كقضيب البلور ، انتخب من الفرات ، واستعمل بعد البيات ، فكان كلسان الشمعة ، فى صفاء الدمعة » فعارضه ابن شهيد فقال « انظر ياسيدى كأنه عصير صباح ، أو ذوب قمر لياح ، ينصب من إنائه ، انصباب الكوكب الدرىّ من سمائه ، كأنه خيط من غزل فلق ، أو مخصرة ضربت من ورق ، يرفع عنك فتردى ، ويصدع به قلبك فتحيا » فلما سمع ذلك زبدة غار فى الأرض ، وهو مبهوت خجل ! !

وقد حسب الدكتور زكى مبارك ذلك غروراً من ابن شهيد وعَذَره فى هذا الغرور نظراً لنبوغه وعبقريته ، والواقع أن الغرور صفة تكاد تكون ملازمة لكل أديب ، وقد يكون ابن شهيد مغروراً فى نفسه الى أبعد حد ، ولكن كلفه بالتفوق على الشعراء والكتاب لم يكن مبعثه الغرور ، كما حسب الدكتور مبارك . فان الرجل كما قلنا كتب رسالته فى جماعة من معاصريه ، حطوا من قدره حسداً له ، وغمطوه فضله حقداً عليه ، فأراد أن يطلعهم على مكانته فى الأدب ، وأن يبين لهم قدرته فى الشعر والنثر ، ولذلك فهو يحرص على الظهور أمامهم بالتفوق والتغلب ، ليس فى اجازة الشعراء والكتاب فحسب ! بل إنه ليذكر أن التوابع والزوابع احتاروا فى أمره ، وشدهوا لقدرته فى الشعر والنثر والخطابة ، وأن أحدهم فتن ببيت من شعره فقام ينشده ويرقص ، وأنه قرأ عليهم رسالته فى وصف الحلواء فأعجبوا بها أيما إعجاب ، وقالوا « إن لسجعك موضعاً من القلب ، ومكاناً من النفس ، وقد أعرته من حلاوة طبعك ، وحلاوة لفظك ، وطلاوة سوقك ، ما أزال أفنه ، ورفع غبنه ، وقد بلغنا أنك لا تجارى فى أبناء جنسك » وأظن فى الجملة الأخيرة ما يكفى للفصل بيننا وبين الدكتور زكى مبارك .

على أن ابن شهيد لم يقف عند هذا الحد من التعالى وإظهار التفوق أمام معاصريه ، بل راح يحط من قدرهم ، ويتهكم بعلمهم وأدبهم فوصفهم ببلادة الطبع ، فهم — كما يقول — ينحتون عن قلوب غليظة كقلوب البعران ، الى فطن حمئة ، وأذهان صدئة لا منفذ لها فى الرقة ، ولا مدبّ فى شعاع البيان ، كل بضاعتهم من الأدب ، كلمات من غريب اللغة ، وبعض مسائل من النحو

(1) مطمح الأنفس

الغد المجهول

للأديب سيد قطب

ياليتَ شعرى ، ما يُخبئُه غدى إنى أروحُ مع الظنونِ وأغتدى
وأُجيلُ باصرتى بها و بصيرتى أبغِى الهُدَى فيها ، وما أنا مهتدِ
حتى إذا لاحَ اليقينُ خلالَها أشفقتُ من وجه اليقين الأسود
وأشحتُ عنه ، ولو أطقتُ دعوتَه
وطرحتُ عنّى حيرتى وتردُّدى
فكأننى الملّاح تاه سفينُه ويخافُ من شطٍّ مُخيفٍ أجردِ

***

ماذا سيولَدُ يومَ تُولَدُ ياغدى ؟ إنى أحِسُّ بهولِ هذا المولد !
سيُصرِّحُ الشكُّ الدفينُ بمهجتى
فأبيتُ فاقدَ خيْرِ ما ملكتْ يدى
ستروغُ من حولى عواطف لم تزلْ
تُضْــفِى علىَّ بعطفها المتودد
ستجفُ أزهارٌ يفوح عبيرُها
حولِى ، وينفحُ بها الأرجُ الندى
والشعلُ الهادى سيخبو ضوؤه ويَلُفُّنى الليلُ البهيمُ بمفردى

***

ماذا تُخلِّفُ يومَ تذهبُ ياغدِى
لا شىءَ بعــد الفقدِ للمتفقّدِ
ستخلّفُ الأيامَ قاعاً صَفْصَفاً تذرو الرياحُ بها غبارَ الفَدْفدِ
لا مُرتجَى يُرجَى ولا أسفٌ على ماضٍ يضيعُ كأنه لم يُوجد
أبداً ، ولا ذكرى تجدِّدُ ما انطوى
حتى التألمُ لا يعودُ بمشهَدِى !
ربّاه إنى قد سئمتُ تردُّدى فالآن فلتقدمْ بهولك ياغدِى

إلى طائر ...

للأديب فايد العمروسى

إلى أى وادٍ ترسل الصوت يجتلى
سرائر هذا الليل والليل ساهرُ
وفى أى معنى تبعث اللحن صارخاً
فتطويه فى جوف السكون الدياجر
وقد غفلت عين الحياة وأسدلت
على الكون من وهم الظنون ستائر
هتكتَ حجابَ الليل يا طير فاتَّئدْ
ورفه ، فقــد هاجت بنفسى خواطر

***

هنالك أعشاش على دوح شاطئ
يمازجها طيب من الروض عاطر
تداعبها الأهواء وهى عوازف وتهفو بها الأرواح وهى فواتر
هنالك أفراخ إذا ملت نحوها تثنت ومالت نحو فيك المناقرُ
فرُدْها ، وخلِّ الليل عنك لشاعر
يطوف به سهران والفكر حائر

***

وفى أى واد فى الظلام مقدس هتفت به ياطير والقلب ثائر
أذلك وادى الدهر يقضى شؤونه
على الخلق والأقدار فيها سواهر
تطل على الأكوان فى غفلاتها فتكشف عما خبأته السرائر
ألا حدِّث الأقدار ياطير واْتنى بما حجبته فى الغيوب المقادر
وأكبر ظنى والظنون خواطر بأنك مثلى فى المقادير حائر

والصرف لا يفهمون منها إلا ما يفهم القرد اليمانى فى الرقص على الايقاع ، والزمر على الألحان . . . قال ابن شهيد : « ومن خلق هذه العصابة أنهم إذا لمحتنا أبصارهم قابلونا بالملق ، وهم منطوون على الحسد والحنق ، فإذا جمعتنا المحافل ، وضمتنا المجالس ، نراهم إلينا مبصبصين ، وإنما يتبين تقصير المقصر ، وفضل السابق المبرز إذا اصطكت الركب ، وازدحمت الحدق ، واستعجل المقال »؟

« للكلام صلة » محمد فهمى عبد اللطيف

في النقد الألماني

صفحة من كتاب اللاوكون

طريقة التعبير عن الفن

للنقادة ليسنغ

للأستاذ خليل هنداوي

وهكذا بعد الملاحظة وجدنا أن الفن فى العصور القديمة كان يتمتع بمقاييس أكثر اتساعاً، وكان بامكانه أن يتناول جميع الأشياء الطبيعية المرئية التي يُعد الجمال فيها جزءاً صغيراً، فكانت الحقيقة وطريقة التعبير هما فيه المطلب الأول. وكما أن الطبيعة تضحى فى كل لحظة بالجمال بناء على نظرات لها سامية، فكذلك الفنان نفسه ينبغى له أن يخضع للطبيعة برسمه الموضوع دون أن يطمع فى أكثر من الظفر بالحقيقة والتعبير، فاذا انقادا له فقد أوتى القدرة بهما على أن يُحيل القبيح فى الطبيعة جميلاً فى الفن.

هب أننا نريد أن نتقبل بدون مجادلة — عمر لحظة واحدة — هذه الأفكار صالحة كانت أم سيئة، أفلا يبقى هنالك مجال فسيح لندرس سبب اضطرار الفنان إلى مراعاته مقياساً خاصاً فى التعبير دون أن ينتخب الحالة التي يكون فيها الأثر المرسوم على أشد ثورته.

ولكن مثل هذا الدرس سيكون رده سهلاً بدرس تلك اللحظة الواحدة التي تحدد أوضاعها الأوضاع الفنية. فاذا كان الفنان فى الطبيعة المتقلبة دائماً لا يستطيع أن يلتقط منها إلا لحظة واحدة؛ وإذا كان المصور بعد ذلك لا يستطيع فى هذه اللحظة نفسها أن يلتقط إلا جانباً واحداً من جوانبها، وإذا كانت آثار هذا الرسام إنما صُنعت لا ليمد إليها الناظر عينيه فحسبُ، ولكن ليتأمل فيها طويلاً، فان من الحق أن هذه اللحظة الواحدة قد انتخبها المصوّر ولم تكن مخصبة كثيراً. على أن المخصب حقاً هو ما يترك حقل المخيلة وسيعاً فسيحاً يجول فيه البصر كيف يشاء.

وبقدر ما نرى الأثر الفني عميقاً يحتوى جوه على خاطرات كثيرة نرى قدرته على توليد الأفكار، وبقدر ما نرى توليده الكثير للأفكار نتصور أننا نرى فيه أشياء وخواطر كثيرة.

فى كل مظهر لعاطفة نرى ساعة احتدادها هى التى تنعم بهذا الامتياز وعملك على إبداء هذا التأثير المثير للعين هو أن تسلم بأجنحتك إلى المخيلة، فاذا لم يكن فى استطاعة المخيلة أن تعلو فوق ما تريد لها صورة التعبير فهى ولابد هابطة إلى أوضاع دانية، ووراء هذه الأوضاع يُخشى عليها أن تتقيد «بافراط فى التعبير» فيقف بذلك مدى ارتفاعها وسموها. فاذا تنهد تمثال (اللاوكون) كان فى استطاعة المخيلة أن تسمعه يصيح؛ ولكنه إذا صاح أصبحت المخيلة لا تستطيع أن تعلو درجة ولا أن تسقط درجة عما تفرضه الصورة، ولا تقدر أن تفرض جواً له أكثر احتمالاً وإن كان بنتيجته أكثر اعزاء. وإنما هى مضطرة إلى حالتين: فاما أن تسمعه ينوح وإما أن تراه يموت.

وبما أن هذه اللحظة الواحدة قد اكتسبت بواسطة الفن خلوداً لا يتغير فلا يجب عليها أن تُعبر إذ ذاك عن شىء يعرض ويزول. فان كل الحوادث التى تحكم عليها بطبيعتها تبدو وتتوارى فجأة، والتى لا يمكن تمثيلها بحقيقتها إلا لحظة واحدة؛ هذه الحوادث

مهما كانت طبيعتها إنما تمثل على قدر الخلود الذى وسمها به الفن منظراً غير طبيعى ؛ كلما مددنا إليه أبصارنا ضعف تأثيره فينا حتى لايبقى بعد ذلك من هذا التأثير وهذا المنظر إلا الملل والسأم .

أنظر إلى تمثال (ديموقريطس)[(١)] الفيلسوف اليونانى الضاحك من جنون الانسان ، فانه لايضحك إلا الوهلة الأولى حين تراه ، ثم يغدو الفيلسوف بليداً وضحكته تشنجاً ملتوياً ، وكذلك الحال فى الألم الشديد الذى يرافقه الصياح ، فهو إما أن يهدأ ، وإما أن يشوه وضع المتألم ويذهب بجماله ، وإذا كان الانسان الجلد القوى لا يقدر على مواصلة الصياح بصورة دائمة ، فكذلك الأمر فى الصورة التقليدية الفنية تحيل مواصلة الصياح فيها ضعفاً لا يأتيه إلا الأطفال فى ساعات الألم . وهذا ما تحاشاه رسام (اللاوكون) فى نفس اللحظة التى لايضر الصياح فيها مظاهر الجمال، وفى نفس اللحظة التى تبيح له قواعد فنه ان يمثل الألم بدون الجمال .

قد أدرك الرسام (تيموماك) بين معاصريه الأقدمين مقاماً سامياً لحذقه التعبير عن الأهواء الجامحة . فللخلود صنع صورة (اجاكس الغاضب) وصورة (ميدى) الساحرة وهى تقتل أولادها .

وبعد هذه الأوصاف التى جئنا بها نقول : قد اتضح أن الفنان قد وقف على تلك اللحظة التى ترك فيها الناظر سارحاً فى تأملاته يدرك من معانى التمثال هذه القسوة العنيفة الملتهبة أكثر مما يرى . . . . فهو لم يأخذ (ميدى) فى اللحظة التى قتلت فيها أولادها ، ولكنه رسمها قبل لحظات حين كانت تتنازعها عاطفتا الأمومة والغيرة . إنما نحن نتنبأ نهاية المعركة ، ونحن نضطرب إذ نراها فى ثورة غضبها ونقمتها . ومخيلتنا قد تذهب فى مسارب أبعد غوراً قبل أن يحملنا الرسام على النزول فى مساربه فى مثل هذه الساعة الهائلة . وبهذا وحده نرانا أمام هذا (البقاء)[(٢)] الذى يفرضه الفن لحيرة هذه الأم كمن ارتطم بشىء . إذ نريد أن يكون الوضع فى الطبيعة كهذا الوضع ، حيث لاتنتهى معركة الأهواء فى النفس ، واذا قدر لها الانتهاء انتهت ناضجة حتى يستطيع الزمن وإدمان التأمل أن يضعفا الغضب ويخففا غرب الحدة ، ويحققا انتصار عاطفة الأمومة . وحكمة هذا الرسام قد رفعته مقاماً عالياً ، ووضعت مرتبته فوق مرتبة رسام غيره مجهول ، إذ أراد هذا المجهول أن يرسم (ميدى) وكان غير فطن ؛ فرسمها فى ثورتها العنيفة ، فأعطى هذه الثورة الحالية من صفة البقاء ما يتجاوز الحد الطبيعى ، وهنالك شاعر نظر إلى هذه الصورة وقد انتقدها بعقل صائب ، وناجى الصورة : « هل أنت ظمأى إلى الأبد لدماء أبنائك ؟ هل هنالك ولد لك جديد وابنة جديدة ، تجددين من أجلها غضبك وتصبين سوط نقمتك ؟ ألا فاذهبى إلى الشيطان وأنت بهذه الهيئة المرسومة » .

والصورة الثانية صورة (اجاكس الغاضب) لم يمثله الرسام فى غضبه العنيف حين كان يقيد البهائم ويقتلها بدل الناس ، وإنما رسم هذا الرجل بعد هذا العمل الوحشى وقد أنهكه التعب وغلب عليه الوجوم وهو يتأمل فى عاقبة عمله . هذه الصورة تمثل حقاً (اجاكس الغاضب) لا لأنها تمثله فى سورة غضبه ، ولكن لأنها مثلته بعد غضبه ، ولأن الناظر يدرك بواطن هذا الغضب من وراء الوجوم الذى يراه مرتسماً على وجهه ، واليأس البادى على ملامحه ؛ ألا يرى الناس العاصفة إذا رأوا الخرائب التى دمرتها والجثث التى بعثرتها على التراب ؟

(بيروت) خليل هنداوى

(١) ديموقريطس فيلسوف يونانى كان يضحك من جنون البشر كما كان هيراقليطس يرثى لهم .

(٢) المراد بالبقاء الهيئة التى تبرز بها الصورة وتتحلى بها أبداً .

العلوم

٣ ـ بحث فى أصل الانسان

بقلم نعيم على راغب
دبلوم عال فى الجغرافية

مهارة الانسان الأول :

لم يكن الانسان الأول إنسان عقله وتركيبه فقط ، بل كان إنساناً تميزه حقائق أخرى كثيرة عرفناها عنه . وإن الأدوات الحجرية التى وجدت عن ذلك الوقت الغابر لا تدل على مدى تفكيره فحسب ، بل تدل على ميل للفن والمهارة فى الصناعة .

وقد وجد المستر داوسون Mr. Dawson قطعة مستطيلة من العظام المتحجرة شكلتها يد الانسان القديم لتقوم له بوظيفة صنعها من أجلها ، وتشبه فى شكلها شكل مضرب اللعبة المعروفة « بالكريكيت » وحالة التحجر ودرجته تماثل تماماً ما وجد فى أقدم عصور إنسان البلتداون . وعند فحص هذه القطعة العظمية اكتشف أنها قد اقتطعت من عظمة فخذ نوع من أنواع الفيلة الضخمة البائدة التى تشبه الماموث كانت تعيش فى انجلترا فى أوائل عصر البليستوسين (شكل ٥) ؛ فانسان البلتداون كان ذكياً ماهراً الى حد ما ، أو لدرجة أوصلته الى أن يشكل من عظام فخذ هذه الفيلة أسلحة مشوهة الشكل ، ومن العدل حينئذ أن نضيف الى ذكائه ومهارته شجاعته وقدرته فى الصيد والقنص .

سبق أن بينت أن إنسان الكهوف Cave Man كان أسير التقاليد والأزياء . وكيف كان نوع وشكل واحد من أنواع الأدوات أو الأسلحة أو غيرها يعم استعماله القارة كلها ، وكيف أن بقاء الزى الواحد كان لمدة أطول بكثير مما هو عليه الآن .

وإذا نحن بعدنا إلى عصر الأودية فاننا نجد براهين أخرى على ما ذكرنا . حقيقة لا يمكننا معرفة وقت بدء استعمال هذه الآلات والأدوات الحجرية سواء فى عصر الأشيلية والشيلية



شكل (٥) وجدت أدوات من العظم طول الواحدة ١٦ بوصة قطعها بلا شك انسان البلتداون واستخدمها كسلاح يدافع به عن نفسه أو يستعملها فى صيد ما يقابله من وحش
(نقلا عن رسم سير سميث وودوارد)

أو البريشيلية ، إلا أنه يمكننا مع ذلك أن نقول واثقين كل الثقة أن المرأة كانت تحمل نفس الشعور والحواس النفسية التى تدفع أى امرأة فى أى عصر من العصور الى طريق العبودية للأزياء . وفى الوقت الحاضر بما فيه من وسائل مواصلات حديثة ، يكفى الزى الواحد أسابيع قلائل كى ينتشر ويعم استعماله العالم أجمع ، ولو أنه سريع الذهاب قليل البقاء أو الثبات ، وهذا الأمر هو ميزة العصر الحالى ، عصر السرعة والتقلب فى كل شىء . بعكس القديم الذى نحن بصدده ، والذى ذكرنا فى فقرتنا السابقة أن انتشار الزى الواحد كان يلزمه وقت طويل ، ولكنه عند ما ينتشر يستمر عشرات آلاف السنين دون أن يتغير .

قد استطعنا من الآثار والمخلفات التى وجدناها فى المقابر والكهوف وسواها أن نتتبع تاريخ حياة الانسان من نحو مائتى الف سنة ، وبذلك وصلنا الى عصر من العصور سماه علماء الجيولوجيا عصر البليستوسين Pleistocene . ولدينا من البراهين

القوة مايثبت أن الانسان فى هذا العصر قد وُجد كامل التكوين جسما وعقلا ، ولذلك نجد أنفسنا مضطرين لأن نرجع الى ما قبل هذا العصر ، الى عصر أطلق عليه اسم عصر البليوسين Pleiocene وهنا نجد أن مخلفات العصر السابق ليست ذات أهمية لنا ، ونجد ضروريا أن نبحث عن آثار أقدم . وقد وجد أن الانهار الشمالية ومنها التيمس والرين والألب وغيرها تحفظ فى قاعها وبين طبقات شواطئها من مخلفات العصر الذى نحن بصدده ما يجعلها تفوق فى الأهمية أى متحف جيولوجى أو طبيعى .

كانت مصبات الأنهار الشمالية تصل الى أقاصى القارة الأوربية وتصب فى بحر الشمال . وكانت انجلترا تتصل بباقى أوروبا عن طريق سهل فسيح جداً ممتد بينها وبين القارة . الا أن هذا السهل قد ذهب ضحية عوامل الانخفاض فى القشرة الأرضية فغمرته المياه ولم يبق منه إلا شريط مستطيل رفيع يمتد فى شرق انجليا .

وإنك لترانا ما زلنا فى بحثنا عن إنسان البليوسين نعتمد على مخلفات الأنهار وما تحفظه المجارى المائية بين طبقات قاعها أو كهوف سواحلها . وحقيق بى أن أذكر هنا عبارة Sir Arthur Keith حين قال :

«All rivers write history; the geologist deciphers their hieroglyphs for us.»

وهذا معناه أن الأنهار تحفظ لنا بين ثناياها التاريخ الصحيح لقديم الزمان ، وعلى العالم الجيولوجى أن يقرأ لنا هذا التاريخ ويفسر ما التبس منه وما غمض .

قلنا إن شرق انجليا يكون جزءاً من سهل بحر الشمال البليوسينى ، فاذا كان هناك إنسان قد عاش فى أوربا وسكنها فى ذلك العصر فلا بد أن نجد آثاراً أو مخلفات تدل على سابق وجوده . وقد حدث أن المستر ريد مور Mr. J. Reid Moir بدأ يبحث فى طبقات البليوسين فى شرق انجليا فلاحظ أنه على أعماق مخصوصة وجد قطعاً صخرية صماء دلّته دلالة لا نقض فيها على أنها من عمل الانسان . وبعد سنوات عديدة أمكنه أن يكوّن مجموعة من هذه الصخور تختلف اختلافاً بيّناً فى الشكل والنوع عما وُجد من مخلفات عصرى البريشيليان والشيليان . ثم وجه بحثه وراء إنسان البليوسين فبحث فى شواطىء سفولك ونورفولك ، حيث تكشف الأمواج المتلاطمة عن طبقات الربوات العالية البليوسينية . وقد ساعده الحظ فى العثور على صخور نارية دلت على عمل الانسان (شكل ٦) وقدرته على التشكيل والابتكار . لكنه لم يعثر ولم يعثر غيره على هيكل متحجر من هيا كل ذلك الانسان الذى صنعها وشكلها فى تلك الأزمنة السحيقة المتناهية القدم وهى عصر البليوسين

وقبل أن نتقدم بعيداً عن ذلك نقف لحظة هنا لنقدر عمراً لهذا العصر . قال العلماء إن سمك طبقات البليوستوسين يبلغ ٤٠٠٠ قدم ، وأن سمك طبقات البليوسين ٥٠٠٠ قدم . فاذا علمنا أنه يلزم لتراكم طبقات البليوستوسين (٤٠٠٠ قدم) ٢٠٠ ألف سنة فانه من الممكن أن نقول إن طبقات البليوسين (٥٠٠٠ قدم) تحتاج الى ٢٥٠ ألف سنة أى ربع مليون سنة . وهذا ما يمكن أن نقدره عمراً لعصر البليوسين . وقد كانت أقدم جهة وجد فيها

ريد موير مخلفاته الصخرية تقع فى خمسى المسافة ، فاذا اعترفنا بذلك وجب أن نعترف أنه من مدة تبلغ نحو ١٫٣٠٠ ألف سنة كان يسكن العالم عنصر بشرى كان له من الذكاء والمقدرة ما كشف له عن طريق عمل واستخدام الآلات والأسلحة .



شكل (٦) نماذج من أدوات مصنوعة من الصخر النارى من عصر Eoliths تدل على تفكير ومهارة قام بهما الانسان الأول
(نقلا عن رسم مستر ريد مور)

ولم تكن صخور ريد مور التى وجدها فى شرق انجليا أقدم آثار لعصر البليوسين ، لأن هناك جهة تعرف باسم N. Drowns of Kent لوحظ أن بها مناطق لا تجرى فيها مجار مائية فى العصر الحالى وإنما تدل الدلائل على أنه كانت توجد بها أنهار سريعة الجريان . وذلك من البقايا الرسوبية التى وجدت . فى هذه الجهة بدأ بنيامين هاريسون بحثه فى عام ١٨٦٤ فوجد أدوات صخرية نحتتها يد الانسان ، وقد سميت هذه الصخور باسم Eoliths ، ويعترف ريد مور أن هذه الصخور أقدم مما وجده فى شرق انجليا . وقد وجد مدير دار الآثار الملكية البلجيكية فى Belgium Rutôt أمثلة أخرى كثيرة لمحاولة الانسان الأول تشكيل الصخور واستعمالها أدوات وأسلحة .

ولم يقتصر البحث على مخلفات الطبقات الجيولوجية لمناطق بحر الشمال البليوسينية ، بل تعداها إلى كل أنحاء العالم . فى هبترلاند وفى السهول الشمالية لأواسط آسيا دار البحث والتنقيب عن إنسان البليوسين .

ولعل الدكتور هنرى فيرفيلن أوزبورن Dr. H. F. Osborn كان يتوقع العثور فى آسيا على الحلقة المفقودة لسلسلة تطور الانسان فى مخلفات عصر البليوسين .

وبرغم الأبحاث المتوالية والجهود الجبارة التى قام بها العلماء فى مختلف جهات العالم ، لم يعثر إلا على بقايا فرد واحد من العنصر الذى عاش فى عصر البليوسين ، وجد فى منطقة ترتفع عن مستوى سطح البحر بنحو ٥٠ قدماً وتقع على الساحل الشرقى لنهر بنجوان Bengawan فى أواسط جاوة ، وقد عثر عليه شاب هولندى طبيب ذهب الى جاوة سنة ١٨٩١ واثقاً من عثوره على ما يدله على خطوات التطور الانسانى فى هذه الجهة .

وكانت شواطئ نهر البنجوان غنيـة بالهياكل المتحجرة لحيوانات بائدة ، ولذلك استرعت هذه الجهة نظر الطبيب الشاب فوجه بحثه اليها .

الحلقة المفقودة

وبعد بحث وحفر طويلين وجد هيكلاً لمخلوق غريب أطلق عليه اسم Pithecan thropus أى الانسان القرد ، إذ أنه قد ظن أنه وجد بقايا من يتكلم عنه الناس أجمع ولم يروه ، ألا وهو الحلقة المفقودة بين القرد والانسان .

وقد ظهر أن هذه الطبقة الأرضية التى وجدت بها بقايا هذا العنصر أو المخلوق لم تتكون إلا فى أواخر عصر البليوسين . ولذلك يمكننا أن نقول إنه اذا كان هذا الانسان القرد عاش هو وإخوته وأعمامه وأخواله وكل أفراد عائلته فى جزيرة جاوة فى العصر الذى تم فيـه تكوين طبقات شرق انجليا ، فانه يمكننا أن نقدر لعصره عمراً يتراوح بين ٢٠٠ و ٣٠٠ ألف سنة .

بعد أن قدرنا هذا العمر لهذا المخلوق العجيب يجب علينا أن نبحث لنعرف نوع هذا المخلوق وأصله . فما الذى وجدناه منه ؟ كل ما عندنا من آثار : غطاء الجمجمة ، عظمة فخذ ، ثلاث أسنان منها ضرس من أضراس العقل .

فلندرس هذه كلها ، ولنر ما يمكن أن تكشف لنا عنه .

(يتبع) نعيم على راغب

البريد الأدبي

ذكرى الفردوسي

تحتفل الحكومة الفارسية فى هذه الأيام بذكرى الفردوسي الشاعر الفارسي الكبير بمناسبة مرور ألف عام على مولده . ولا يعرف تاريخ مولد الفردوسي بالتحقيق ، ولكنه يوضع عادة بين سنة ٩٣٥ وسنة ٩٤٠م ؛ وكانت وفاته نحو سنة ١٠٢٠ م . واسمه الحقيق هو أبو القاسم منصور ، وأما الفردوسي فهو اسمه المستعار . وأعظم آثاره قصة « الشاهنامة » الشهيرة ، وضعها نظما ، واستمد موضوعها وحوادثها من تاريخ فارس القديم . وترجمها بالعربية نثراً الفتح بن على البندارى . وقد ترجمت الشاهنامة الى بعض اللغات الأوربية كالانجليزية والفرنسية والألمانية وظهرت منذ أوائل القرن الماضي . وظهرت الترجمة العربية مكملة محققة منذ عامين بعناية الدكتور عبد الوهاب عزام ، أستاذ الفارسية بالجامعة المصرية .

وقد اهتمت الحكومة الفارسية بتنظيم هذا المهرجان الأدبى اهتماماً عظيما ، ودعت معظم الحكومات والجامعات والهيئات العلمية لشهوده بصفة رسمية ؛ وسينزل المندوبون الرسميون ضيوفاً على الحكومة الفارسية منذ دخولهم الحدود الفارسية ؛ وتنظم الحفلات والزيارات الأولى ما بين الثالث والثامن من اكتوبر . ثم يفتتح جلالة الشاه الاحتفال الرسمى الكبير فى الثانى عشر من اكتوبر فى مدينة طوس حيث يرقد الشاعر العظيم ، وسيكون الافتتاح برفع الستار عن أثر تذكارى أقيم تخليداً لذكراه .

وقد وفد على فارس مئات من العلماء والمستشرقين ممثلين لحكوماتهم وجامعاتهم ؛ وانتدب لتمثيل مصر فى هذا المهرجان العظيم الأستاذان عبد الوهاب عزام وعبد الحميد العبادى . وقد بلغ عدد المدعوين الى حفلة ذكرى الفردوسي الألفية من أوربا وأمريكا ٩٠ عالماً ، ومن الشرق الاسلامى ٢٤ ، وأعدت لهم الحكومة جميع مظاهر الضيافة والكرم ، وسيعودون الى بلادهم فى ٢٥ اكتوبر إذ تنتهى الاحتفالات القومية الفارسية .

وترجو الرسالة أن توافى قراءها بتفاصيل شائقة عن هذا المهرجان وعن الخطب التى ستلقى فيه .

ألمانيا تحتفل بذكرى الفردوسي

احتفل فى برلين بذكرى مرور ألف سنة على مولد الفردوسي شاعر الأمة الفارسية بحضور بعض سفراء الدول الأجنبية وأساتذة الدراسات الشرقية من الألمان .

وقد تكلم المستشار وهلن باسم وزير المعارف فقال : إن الفردوسي قد أثبت القرابة الموجودة بين أوائل الفرس وأوائل الجرمان ، وتكلم سفير فارس فقال إن الفرس سعداء فخورون لأن كلمة إيران التى تطلق على بلادهم منعاها : وطن الشعوب الأرشية الآرية الأوربية .

اللغة الفارسية

يدور فى محافل وزارة المعارف الايرانية أن هناك فكرة ترمى إلى عقد مؤتمر لغوى فارسى بعد الاستئناس بآراء المستشرقين الموجودين فى طهران لحضور حفلات الفردوسي . والغرض من هذا المؤتمر هو : آلأصلح أن يستمر تقدم اللغة الفارسية فى طريقها الحاضر مع إحياء المفردات القديمة ، أم اقتباس طريقة مصطفى كمال فى جعل اللغة التركية مجردة من الألفاظ العربية وسواها ؟ ويؤيد الرأى الأول فريق الشباب . أما المعارضون فهم أكثرية الشعب الايرانى لاعتبارات دينية وتقليدية .

اللغة التركية

إن المؤتمر اللغوى التركى قرر أن يكون يوم ٢٦ أغسطس من كل سنة ، وهو اليوم الذى انعقد فيه المؤتمر الأول ، عيداً قومياً للغة التركية فى جميع أنحاء الوطن التركى ، وكانت الجمعية قد احتفلت بهذا العيد فى العام الماضى احتفالاً اقتصر على إقامة مأدبة رسمية فى مركز الجمعية فى أنقرة . أما فى هذه السنة فان النية اتجهت إلى صبغ هذا الاحتفال بالصبغة القومية العامة ، وفى اليوم المقرر يلقى أعضاء لجان حزب الشعب الخطب والمحاضرات بواسطة

الراديو لتعميم فكرة استقلال اللغة القومية ، وفى هذا اليوم تصدر الصحف التركية أعداداً خاصة تتناول فيها الموضوعات المتعلقة بمسألة اللغة القومية وتركيزها .

أول مؤلف فى اللغة اليابانية عن الاسلام

نشر فى طوكيو أخيراً كتاب جليل باللغة اليابانية اسمه « تطور الأمم الاسلامية » عنى بتأليفه ونشره الأستاذ أوقوباشى خدمة للاسلام ، ويجمع هذا الكتاب بين دفتيه خمسمائة صفحة من الحجم الكبير زين معظمها بالصور الشمسية التى تمثل نواحى الحياة والعادات فى بلاد الاسلام .

والكتاب يحوى كثيراً من المعلومات العامة عن الاسلام وأهله ، وقد اعتنى مؤلفه بعالم الترك اعتناء عظيما فنشر فيه مقالات وفصولاً طويلة فى تاريخ الترك والمدنية التركية ، وأحصى الدول التى أنشأها الأتراك ، وأعرب عن وحدة المدنية التركية بوضوح تام ، ثم وضع الانقلاب التركى الأخير فى مكان رفيع ، وشرحه للأمة اليابانية شرحاً وافياً كما شرح أحوال الأتراك المقيمين فى روسيا والصين ، وأسهب فى الكلام عن المسلمين عامة ، وزين الكتاب بصور عظماء المسلمين من أتراك وغيرهم كما زينه بصور زعماء ايديل أورال وتركستان وقريم وقوقاز .

البحث عن أصل النور

سبق أن نشرنا بحثاً مستفيضاً عن النور (الغجر) وخواصهم ، وما زالت آراء البحث الحديث متضاربة فى أصل ذلك الشعب البدوى الجوال ؛ وأكثر الباحثين على أنهم نزحوا فى الزمن الغابر من الهند الى الشرق الأوسط ، ثم تسربوا بعد ذلك الى مختلف الأقطار الأوربية . وما زالت منهم جموع عظيمة فى المجر ورومانيا وبولونيا وتركيا وأسبانيا وغيرها . وتعنى معظم الحكومات بتحضيرهم وتهيئة عوامل الاستقرار لهم لتجعلهم من الرعايا الخاضعين للقانون . ولكنها لم تنجح حتى اليوم فى تحقيق هذه الغاية . وقد ألفت أخيراً لجنة علمية دولية لتقوم بالبحث عن أصل النور ، وعن منشئهم الأول ، فى الهند ذاتها ، وفى نفس المنطقة التى يظن أنها كانت موطنهم الأصلى ، وهى منطقة تسمى « زجر بستى » وتقع بين نهرى الكنج والسند . وتتألف هذه البعثة من عضو انكليزى هو الأستاذ فرنك فيلو ، وعضو أمريكى هو الأستاذ جاكوب كوركى ، وعضو رومانى هو الأستاذ لازوريكا وهو نورى الأصل ، وعضو بولونى ؛ ويصحب البعثة الأستاذ فالنى كانجا الرومانى ، وهو علامة فى اللغة السنسيكرتية التى يظن أنها أصل اللهجات النورية ؛ وسيقوم ببحث الوثائق التى يمكن الحصول عليها من المعابد والأديار البوذية والبرهمية بمعاونة الحكومة الهندية ، وقد يكون فيها ما يلقى الضياء على حياة النور الأصلية وهجرتهم من موطنهم فراراً من اضطهاد المغول أيام جنكيز خان وتيمور لنك ؛ وستزور البعثة اقليم مالابار حيث توجد طائفة تتكلم لغة فيها كثير من العبارات والألفاظ التى توجد فى لهجات النور . وستنشر البعثة خلاصة مباحثها عن النور فى كتاب لاريب أنه سيثير عند ظهوره كثيراً من الاهتمام .

سر الحياة

قرئت أخيراً أمام أكاديمية العلوم الفرنسية وثيقة غريبة أودعها بالأكاديمية نائب وعلامة اقتصادى يدعى فرنسيس لور فى ٥ سبتمبر سنة ١٨٩٥ ، واشترط ألا تفتح الا فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٣٤ ، وكثيراً ما تودع بالأكاديمية أمثال هذه الوثائق ، وتحترم الأكاديمية رغبات مودعيها . وإليك نص هذه الوثيقة الغريبة :

« أعتقد أننى قد استطعت وضع طريقة لأطالة الحياة . ولكنى لما كنت مهندساً ، فانى لا أعتقد بالنظريات إلا إذا تحققت بالعمل . ولهذا فانى أعلن اليوم أننى أريد أن أعيش حتى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٣٤ على الأقل ، وفى هذا التاريخ أكون قد بلغت سن التسعين ، وهى سن أرجو أن أبلغها ، إذا كنت مصيباً فى طريقتى لاطالة الحياة » . وقد توفى المسيو فرنسيس لور فى شهر مايو الماضى ، أعنى قبل الميعاد الذى حدده لوفاته بأشهر قلائل فقط . ومعنى هذا انه بلغ أمنيته ومات معمراً فى سن التسعين ولكن الذى يؤسف له أنه لم يرفق تصريحه ببيان طريقته وعلى أى حال فسواء أكان هذا العمر الطويل نتيجة نظام غذائى أم أية تحوطات صحية أخرى ، فانه مما يدعو إلى الدهشة أن يؤكد هذا المعمر أنه سيعيش أربعين سنة ثم يعيشها حقاً . وقد أحيلت وثيقته إلى القسم الطبى بالأكاديمية لبحثها .

القصص

مُقَطَّفَة

للأستاذ ابراهيم بك جلال
وكيل محكمة أسيوط الأهلية

كنا فى حاضرة صغيرة فى صعيد مصر ، يجرى فى سفحها النيل زاخراً فياضا ، وينطلق بين أغوارها رعاة الماشية فى إثر الكلأ ، وتستقيم على أنجادها بواسق النخيل يسطع بريق الضحى من سعفها كالأسنة فى متون القنا .

وكان فى أقصى المدينة خليج صغير يأخذ من النيل ، يجرى فيه الماء غدراً رقيقاً ، بفيض بركة ويتمناً حول ربوة عالية فيها أكواخ بالية لقبيل من الناس ، عدتهم بين العشرين والثلاثين ، فيهم الشيخ والطفل ، وبينهم حفنة دون العشرة أهل بأس ونجدة .

وتمتد أكواخهم فى ذرى النجد كالحة الجدران ، تنساب بين شعابها عنزات عجاف ، وتنيخ بأفنائها الأباعر ، وتسبح فى أفقها أسراب الحمائم .

ولأهل ذاك القبيل حقل صغير فوق الربى العالية عزّ على القوم سقياه ، فشقوا له فى السفح ثلاثة « شواديف » ، يستقى أدناها من ماء الخليج فيسقى الذى يليه ، وذاك يحمل ما تعلل به من البلل إلى الثالث ، وذلك يلقى سقياه الى الحقل .

ويتناوب أهل النجد تلك الشواديف ؛ فهم أبداً جاثمون تحت السعير المتقد من جمرة الصيف فى أثمال كشفها البلى عن سواعد دونها الفولاذ ، فيشتدون فى ساريات الشواديف جذباً ودفعاً حتى يستوفى الحقل رياً ، فيُفيئون الى صفصافة فى الحى بها ظل وارف .

وكنا فى دهشة الحرب العظمى ، نخيم حول المدينة طائفة من جنود بريطانية يحرسون شعاب الصحراء ، ومفاوزها من أشياع السيد السنوسى ، فكنا نصطبح بفرسانهم دارعين يمشون الى المصاف ثم يعرجون الى المضارب .

وجاء فيض النيل غمراً كأحسن العهد بالوفاء ، وجرى الماء كثيفاً فى خليج أهل القبيل ، فاندفع الغلمان يسبحون فيه ، وتوافد النساء يرتعن ويلعبن .

وكان بالنجد عذراء فتية ، لونها الخمر اذا صفا ، وغرتها البدر ، وخطرتها الظبى ، وحدقها المها ، تسرى بين الربى فى قميص قُدَّ من قُبل فى غير إثم ولا حرج ، وفى خصرها نطاق من نسيج قرمزى كبرزخ الحسن ، يعلو بك صعداً الى معاقد ما بين ثدييها حيث الفتنة نائمة ، ثم يهوى بك الى كثيب تنوء به ساقاها .

ونشأت « مقطَّفَة » فى حمى اليتم ، فكفلها أخواها تحت جناحىْ رحمة ، وجمعا لها زخرف الثياب والعقود والأقراط ، وجمّلا قدميها بخفين فيهما كل طلىّ من صنع المدينة ، وضربا لها خدراً كريماً بين الحمى ، فاذا أقلها الخدر وربض أخواها ببابه بات عريناً دونه جبهة الأسد .

وكرّت مقطفة الى مشرع الخليج وحولها أتراب من الغوانى ، فأشرق النجد أغواره ورباه ، ونضت ثيابها عن قامة كالغصن ، فغمرها مدلا بروعة حسنها ، ونسج الأتراب من معاصمهن حولها شفقاً رقيقاً كالذى نراه عند مغيب الشمس ، فكانت غرتها تشرق بينهن ثم تغرب فى دجى فرعها .

وقدمت فصيلة من جنود الانجليز الى الخليج أفراداً وجماعات حتى أكملوا المائة ، فنزعوا نعالهم الغليظة ، وبعثروا فوق الثرى قلانسهم ومناطقهم ، ثم نضوا بقية الثياب وافترشوا أديم الأرض ، يستقبلون النيل فى فورته واندفاعه الى الخليج ، وكانوا بمعزل عن أهل الحى تحجبهم هضاب وشعاب .

وخرج من صفوفهم فتيان يسبحان فى الماء ، وظلا فى مرح واستباق وتراش بالماء ، حتى رنت فى أفقهما أغاريد بنات الحى من أقصى الخليج ، فهوى أحدهما الى القاع يسترق الخطى ويسبح

الهوينا ، حتى كشف له عذارى النجد كالحلقة المفرغة حول « مقطفة » .

تخاب لبه ما صاغ المشرق من الحسن ، فهو كامن فى أفنان النخيل ، وطيف النسيم العليل ، وصفاء الماء السلسبيل ، وملاحة ذلك القد الأسيل .

وسرّح الافرنجى حدق المأخوذ فى دمية النجد وغانية الحى ، وبهره وضح جبينها ودقة تكوينها ، وسولت له الفتنة أن يستقى حميا ذلك الثغر المصفى .

ونم على الذئب حر أنفاسه فنفر الظباء فى ذعر وفَرَق ، وتخلفت مقطفة تجمع أشتات العقود والعصائب ، وأسبلت قميصاً فضفاضاً يجرى ماء الحسن من جيبه إلى ذيله ، وهمت فى إثر أترابها لولا أن لاحقها الافرنجى فرأت بشراً من غير معدنها فى قميص مندى يكاد يلوكها بماضغ عينيه ، ويعتصر جموح غريزته الملحة ، فمد يمينه إلى جيدها الغضّ ، ولكنها انتثرت كما ينتثر العقد بدداً ، وفرت إلى خدرها تملأ الحى رجعاً موجعاً والرجل يشتد فى إثرها ، وتعلقت فتاة الحى بذروة خدرها ولوحت لأهلها بالعصائب القرمزية فكانت نفير النجدة .

وأبطأ الفتى الجندى على رفاقه من الانكليز ، نخفوا فى أثره وتسنموا ذرى النجد ، نخرج عليهم من ظلال الصفصافة حفنة من الفتيان غضاباً للأعراض والأحساب الكريمة ، يحملون ساريات الشواديف وفلولاً من أعجاز النخيل ، وانهالت الساريات تدق الضلوع ، وتفلق الهام ، وتطهر باب الخدر بالدماء ، واستعر لهب الملحمة واشتد أوارها ، وصرع من عامة الجند نيف وثلاثون .

وجاء النذير الى دار الشرطة بالمدينة ، فقدموا على ضوامر الخيل ، وطوقوا الحى سهله ونجاده ، وحُمل الجرحى الى مضاربهم ، وسيق الفتيان الى السجن مصفدين فى الأغلال .

وحشر أهل المدينة فى الدروب والمشارق يستعرضون تلك الفئة القليلة التى غلبت فئة كثيرة باذن الله ، فاذا هم بضعة نفر من البدو غرا محجلين ، يمشون فى سكينة وعزة ويقين ، مشية آبائهم مفاتيح النصر الى اليرموك والقادسية ، حيث دكوا عروش الروم وفارس ، وجاء على أعقابهم نساء النجد يكون حماة الحريم ورفات المجد القديم ، وفى طليعتهن مقطفة تندى النقاب ، وتهتك الحجاب ، وتندب الأهل والأصحاب .

وعقد مجلس التحقيق فكان مستفيضاً ، وطال أمده يومين كاملين .

وجاءت البينات من جنود الانجليز تشهد جراحاتهم وما تركت الساريات بأضالعهم وسواعدهم وأعجازهم وهامهم ، وأنقذ حماة النجد من الكذب ، وراحو يصورون للقاضى ما كانوا فيه من دعة وسكينة بين الأهل والولد ، حتى وثب الجند بالعقائل يستحلون المحارم ويستبيحون الخدور ، فقامت سواعدهم بغريزة الذود وسجية الدفاع المشروع .

وكشف للناس فرسان من الانجليز يمشون فى ركاب أمير الجيش إلى المحكمة ، ودخل القائد مجلس التحقيق فى عتاده وشارات حسن بلائه ، فساور القوم قنوط ويأس وظنوا بالله الظنون ، وظلوا واجمين بالباب محتسبين عند الله أكرم القرابين .

ولهم معذرة ، فان مصر كانت فى أغلال عرفية لاخيار لها ولا سلطان .

واستنار القائد بدخائل التحقيق وأسراره فنهض إلى الوثائق يجمعها ويطوى سجلها ويحكم رتاجها ، ثم عاد إلى مضاربه وبين يديه الجارمون من أهل النجد .

وهلل الفجر فغصت محاريب المساجد بأهل الدعاء ، يرفعون العقائر ويعلنون السرائر ، وتوارى بعضهم بين الشعاب المفضية إلى المضارب يتسمعون دوى البنادق وزفرات الشهداء .

فكشف للناس فى أفق الصبح قوافل من السيارات تنوء بالعتاد والمضارب وفيها أشباح يخفقون ، وهى تطوى ما بين المضارب والمحطة .

وسارع الناس فرادى إلى الأفاريز فتبينوا بارقا من الرحمة ، وتوسموا الخير كله فى نواصى السيارات . فقد كان ركبها من الذين استباحوا حمى مقطفة وأهل نجدها ، طوح بهم القائد إلى أطراف الديار .

وذخر القطار يمشى بهم فى غير ذمة الله تشيعهم من ناحية القائد عين ناقمة متبرمة .

وأومأ أمير الجيش إلى سيارة موصدة فانفرجت عن فتيان النجد فى أمن ودعة ، واستمعوا حكم البراءة مهللين مكبرين ، يلوحون بالعمائم ويملؤون الأفق حمداً وثناء على مكارم القائد ونبله ، وتقدمتهم إلى النجد مقطفة تلوى عصائبها القرمزية ، وحولها حلقة مفرغة من بنات الحى يغنين نغم البيد ، ويرتلن حلو الأغاريد .

ابراهيم جلال

الكتب

ابنة الشمس

بقلم فرنسيس شفتشى

نشرت مجلة «الرسالة» الغراء فى عددها الصادر بتاريخ ٢٤ سبتمبر الماضى نقداً لحضرة الأديب الفاضل (الخفيف) عن روايتى ابنة الشمس. وإنى لأتقدم بمصافحته، راجياً أن يكون ذلك بدء التعارف بيني وبينه، وأرى لزاماً فى عنقى أن أشير قبل كل شيء الى روح النزاهة التى بدت فى نقده، وعدم تأثره بأية عوامل فى اصداره ذلك النقد، وهو ما أرجو أن يتقبل عنه منى خالص الشكر، غير أنى قد رأيت أن أدفع المآخذ التى أخذها حضرته علىّ بما يأتى:

قال حضرة الناقد المحترم: إن عقدة القصة مبهمة، وإننى لم أوفق الى انتخاب حادثة رئيسية، فهنا بنت اناث تحب بنطاؤر، وهنالك نيفرت تحب مينا، وهذا رئيس الكهان يشترك مع والى مصر فى إثارة الشعب ضد الملك، وهذا بعاكر قائد الطليعة يريد أن يكيد للملك.

ولعل حضرة الناقد يوافقنى على أن الرواية المسرحية لا يجب أن يكون قوامها حادثة واحدة، ولكن محور واحد تدور عليه الحوادث المختلفة، وإن قليلاً من الامعان فى روايتى يبين للقارىء بسهولة: ان ذلك المحور هو النزاع القائم بين الكهنة والعرش. وان جميع حوادث الحب والثورات والمظاهر المختلفة، إنما تشعبت من ذلك الأصل. كما يوضح له أننى لم أحل العقدة التى كان أساسها ذلك النزاع إلا فى الفصل الرابع من الرواية، أى فى الفصل الأخير. وقبل ذلك كان لزاماً علىّ أن أحيط العقدة بغموض وإبهام كما يشير حضرة الناقد، حتى يكون المتفرج فى شوق الى معرفة الغاية التى أسير به اليها.

إن الكهنة يتآمرون على العرش، وهم بحاجة الى شخص يكون آلة فى أيديهم، وهذا الشخص يجب أن يكون حاقداً على الملك، وهو قائد طليعته. فيجب إذن إيجاد سبب لذلك الحقد. هذا السبب هو حبه الشديد لنيفرت، وعدم توفيقه فى الوصول اليها بسبب أوامر الملك. هذا من جانب واحد، جانب الهجوم — إذا صح هذا التعبير — أما من الجانب الآخر — جانب الدفاع — فقد كان الملك غائباً عن دياره، وحلّت ابنته محله فى ادارة شؤون البلاد، وقد اطلعت بواسطة حبيبها بنطاؤر على دسائس الكهنة، فتعاونا معاً على كشف الجريمة واتخاذ التدابير الكفيلة بانتصار رعمسيس.

وبسبب غياب رعمسيس وتنبه الكهنة الى نفوذ ابنته كانت سياستهم موجهة ضدها، فاخترعوا لذلك قصة الدنس وما تفرع عن ذلك من الحوادث التى ليست فى مجموعها إلا إطاراً زاهى اللون لذلك المحور الذى ذكرناه، وهو العامل السياسى، ولو خلت القصة من تلك الزخارف، فلا شك أنها تكون جافة لا يستسيغها القارىء ولا المتفرج، ولاسيما فى التراجيديات الكبرى التى تتطلب جهداً وانتباهاً عظيمين. وبراعة المؤلف هى فى حسن سبك هذه الحوادث وصبغها بصبغة الأهمية، وإعطائها اللون الذى يجعل لها فى نظر المطلع عليها قوة الموضوع الأساسى وعظمته، وفى أن يشعره بأنها متصلة به اتصالاً وثيقاً. وهذا ما توخيته فى روايتى.

ولقد قال حضرة الناقد فى موضع آخر من مقاله: إن كل منظر فى الرواية يكاد يكون مستقلاً، فلعلى لا أكون مخطئاً اذا لفت نظر حضرته إلى أن القاعدة الفنية المعمول بها فى معظم المآسى العالمية الكبرى هى التى أوحت الىّ السير على هذا النمط الذى أجده معقولاً، فان موضوع القصة يجب أن يقسم تقسيماً

عادلاً بين الفصول ، بحيث أن الحادثة أو جزء الرواية الذى يتناوله المؤلف فى أحد الفصول يجب أن تكون جزئياته كاملة بحيث لايسدل الستار على شىء أبتر والمتفرج فاغر فاه فى انتظار شىء يشعر بلزومه . إن المتفرج يجب أن يشعر إزاء كل جزء من الرواية أنه إزاء رواية كاملة بجميع جزئياتها فى دائرة جزء القصة المخصص لذلك الفصل ، على أن يربط هذه الحوادث جميعاً بحوادث الفصل التالى للموضوع الأصلى ، وهذا بالذات مافعلته .

أما قول حضرة الناقد أننى جعلت خاتمة المأساة متوقفة على نصيب رعمسيس فى الحرب وأن هذا معروف للقارئ . فليسمح لى بأن أقول لحضرته إن المعروف للقارئ عن انتصار رعمسيس لم يتطرق إلى ذهنه بواسطة روايتى إلا فى النهاية ، ومعرفة القارئ هذا الانتصار من كتب التاريخ لا يقلل من أهمية القصة ، بل بالعكس يجعل لها قيمتها التاريخية من حيث أن المؤلف مطالب بالاحتفاظ بروح التاريخ وإثبات الحوادث الكبرى المعروفة . فما يعتبره الناقد عيباً من هذه الناحية هو حجتى فى الدفاع عن الرواية . إن المؤلف لايبالى معرفة الجمهور بحادث تاريخى معين إنما هو يسير فى عمله على حسب مايقتضيه سياق القصة وحسن سبكها ، ومهمة المؤلف هى فى إيضاح تلك الحوادث المعروفة وتصويرها بدقة وإلباسها الثوب القشيب الذى يجعل الجمهور يتقبلها بغير عنت ولا نفور . فاذا نجح المؤلف فى ذلك فلا شك أن الاستمتاع بالعمل الفنى يكون كاملاً .

أما ما يأخذه علىّ حضرة الناقد من سذاجة الحوار فى بعض الحوادث فان ذلك كان يتبع روح الأشخاص الذين كنت أتكلم بلسانهم .

أما ما يتعلق برجوع بنطاؤر عن فلسفته بسرعة وانقياده إلى بنت أنات ، فانى أوافق الناقد على انهما لم يكونا بصدد موضوع تافه بل بصدد موضوع خطير للغاية ، ولكن بنطاؤر كان مدفوعاً بعدة عوامل أظهرناها جميعاً بجلاء تام فى سياق القصة ، وخلاصتها أنه كان يحب بنت أنات حبا مبرحاً منذ عام ، وأنه كان يخالف فى قلبه جميع معتقدات الكهنة ويدين بما تدين به حبيبته ، وأنه خاف عليها أن يتولى عقيدتها الطاهرة الفساد . هذا فضلاً عن قوة الحجة التى أدلت بها بنت أنات فى حضرة الكاهن وثورتها عليه ولين عاطفة بنطاؤر ونفسه الشاعرية الحسّاسة . لقد اجتمع لديه كل ذلك فى وقت واحد فسلّم السلاح . على أن ضميره عاد يؤنبه بعد ذلك فكاشف صديقه نبسشت بعد تردد قليل بما يكنه قلبه . ولا غرابة فى ذلك فان بنطاؤر ونبسشت صديقان حميمان وكلاهما يعد نفسه أمين سر للآخر وموضع ثقته وملاذه .

واما اننى جمعت بين التأليف والتمثيل باشارتى إلى ما ينبغى حدوثه على المسرح فلا أظن فى ذلك ما يعيبنى ، ولا سيما أن هذه هى الطريقة المتبعة فى كل المسرحيات الحديثة .

هذا ما وجب أن أدفع به المآخذ الموجهة إلى روايتى ، فلعلى أكون قد وفقت فى بيانى ، والله سبحانه وتعالى يهدينا جميعاً إلى ما فيه السداد .

فرنسيس شفتشى

أرملة حكومة . . .

[بقية المنشور على صفحة ١٦٤٤]

إذ كان بهذا مطيقاً أن يكون أباً ينفق على أبنائه ، لا سفيهاً ينفق على شياطينه .

فإن كان قد بنى رأيه على أن يتعزَّب مدة ثم يتأهل ، فهذا أحرى أن يعينه على حسن التدبير ، وهو مَضْراةٌ له على شهوة الجمع والادخار ؛ إذ يكون عند نفسه كأنما يكدح لعياله وهو فى سعة منهم بعدُ ، وهم لا يزالون فى صُلبه على الحال التى لا يسألونه فيها شيئاً إلا أخلاقاً طيبة وهمماً وعزائم يرثونها من دمه فتجىء معهم إلى الدنيا متى جاءوا .

إنما العزب أحد رجلين : رجلٍ قد خرج على وطنه وقومه وفضائلِ الانسانية ، قاعدته : جُرَّ الحبل ما انجرَّ لك . وهذا داعر فسق ، مبذر متلافٌ إن كان من المياسير ؛ أو مُريب دنىء حقير النفس إن كان من غيرهم — ورجلٍ غير ذلك ، فهو وثاق الضرورة إلى أن تُطلِقَه الأسباب ، ومن ثم فهو يعمل أبداً للأسباب التى تُطْلقه ، ويعرف أنه وإن لم يكن آهلاً فلا تزال ذمته فى حق زوجة سيعولها ، وفى حقوق أطفال يأبوهم ، وواجبات وطن يخدمه بانشاء هذه الناحية الصغيرة من وجوده ، والقيام على سياستها ، والنهوض بأعبائها . فانظر ويحك أىّ الرجلين أنت ؟

قال : فتريدنى أن أقامر بتعب سنة وأنا بعد ذلك وما يُقْدَرُ لى ، وقد أشترى بتعب سنة من العمر تعب العمر كلِّه ؟

قلت : فهذه هى خسّة الفرديّة ودناءتها الوحشية فى جنايتها على أهلها ، وسوء أثرها فى طباعهم وعزائمهم ؛ فهى فرديّة تضرب فيهم العاطفةَ الاجتماعية ضرْبَ التلف ، وتبتليهم بالخوف من التبعات حتى ليتوهم أحدهم أنه إن تزوج لم يدخل على امرأة ، ولكن على معركة . وهى تصيبهم بالقسوة والغلظة ؛ فما دام الواحد منهم واحداً لنفسه ، فهو فى تصريف حكم الأثَرة ، وفى قانون الفتنة بأهواء النفس ومنافعها ؛ كأنما يعامله الناس رجلاً كلّه مَعِدَة ، أو هو فيهم قوة هضم ليس غير .

قال : ولكن الزواج عندنا حظٌّ مخبوء « لوتريّة » والنساء كأوراق السحب ، منهن ورقة هى التوفيق والغنى بين آلاف هن الفقر والخيبة المحقّقة .

قلت : هل اعتدت أن تتكلم وأنت نائم ؟ فلعلك الآن فى نومة عقل ، أولا فأنت الآن فى غفلة عقل .

إن هذا المسكين الذى يمسح الأحذية ويشترى من تلك الأوراق لا يخلو منها — يعلم علماً أكثر من اليقين أن عيشه هو من مسح الأحذية لا من الأخيلة التى فى هذه الأوراق ؛ فهو لا يعتدّ بها فى كبير أمرٍ ولا صغيره ، وما يُنزلها فى حساب رغيفه وثوبه إلا يوم يُخالطُ فى عقله فيتنزّه أن يمسح أحذية الناس ، ويرى أن عظيماً مثله لا يمسح إلا أحذية الملائكة . . .

أنت ياهذا مهندس ، ولك بعض الشأن وبعض المنزلة ، فَهَبْك ارتأيت أنه لا يحسن بك أو لا يَحْسُنُ لك إلا أن تتزوج بنت ملك من الملوك ، فهذه وحدها هى عندك « النمرة الرابحة » وسائر النساء فقر وخيبة ما دام الأمر أمر رأيك وهواك ؛ غير أنك اذا عَرضْتَ لتلك « النمرة الرابحة » لم تعرفك هى إلا صعلوكاً فى الصعاليك وأحمق بين الحمق .

إن تلك الأوراق تُصْنع صنعتَها على أن تكون جملتُها خاسرة إلا عدداً قليلا منها ؛ فاذا تعاطيتَ شراءها فأنت على هذا

همـــام

قرأت ما كتبه الأخ الأديب « م » عن قصة « همام » فى (الرسالة) الغراء ، وأشكره على حسن ظنه فى تقريظه ، وأدبه فى نقده ، وأرجو أن أكون أكثر ارضاءً له فى المستقبل .

وما أريد أن أعقب على شىء من كلمته إلا قوله : (تدور القصة حول محور واحد ، ألا وهو حفلات الزواج فى عاصمة الأحقاف) والواقع أنها تدور حول العادات السيئة بحضرموت وإصلاحها ، ولم يرد وصف حفلة الزواج إلا عرضاً .

ولا بد لى من التنبيه على أن البيت (لولا انتصاف الكأس الخ . .) ليس لصاحب القصة ، بل هو لصديق له من كبار شعراء الأحقاف ، ورد اسمه فى القصة تنويهاً بفضله وأدبه .

على أحمد باكثير

الأصل تأخذها ، وبهذا الشرط تبذل فيها ؛ وما تمترى أنت ولا غيرك أن القاعدة ههنا هى الخيبة ، وشذوذها هو الربح ؛ وليس فى الاحتمال غير ذلك ؛ ومن ثمّ فقد برئ اليك الحظُّ إن لم يصبك شيءٌ منه ، وأين هذا وأين النساء ، وما منهن واحدة إلا وفيها منفعة تكثر أو تقل ، بل الرجال للنساء هم أوراق السحب فى اعتبارات كثيرة ، مادامت طبيعة اتصالها تجعل المرأة هى فى قوانين الرجل أكثر مما تجعل الرجلَ فى قوانينها . وهل ضاعت امرأة إلا من غفلة رجل أو قسوته أو فسولته أو فجوره ؟

قال المهندس : فانى أعلم الآن — وكنت أعلم — أن لا صلاح لى إلا بالزواج ، وأن طريقى الى الزوجة هو كذلك طريقى الى فضيلتى والى عقلى . وتالله ما شيءٌ أسوأ عند العزب ولا أكره اليه من بقائه عزباً غير أنه يكابر فى المماراة كما تحاقرت اليه نفسه ، وكلما رأى أن له حالاً ينفرد بها فى سخط الله وسخط الانسانية . ولا مَكْذِبة . فقد والله أنفقتُ فى رذائلى ما يجتمع منه مهر زوجة سَرِيّة تشتطّ فى المهر وتغلو فى الطلب ؛ ولكن كيف بى الآن وما جبرنى من قبلُ إصلاحٌ ، ولا أعاننى اقتصاد ، ومن لى بفتاة من طبقتى بمهر لا أحمل منه رهَقاً ، ولا تتقاصر معه أمورى ، ولا تختل معيشتى ؟

قلت : فاذا لم يحملك الحمار من القاهرة الى الاسكندرية ؛ فانه يحملك الى قليوب أو طوخ . وفى النساء اسكندرية ، وفيهن شبرا ، وقليوب ، وطوخ ؛ وما قرب وبَعد ؛ وما رخص وغلا .

قال : ولكن بلدى اسكندرية . . .

قلت : ولكنك لاتملك إلا حماراً . . . وللمرأة من كل طبقة سِعْرها فى هذا الاجتماع الفاسد ؛ ولو تعاون الناس وصلحوا وأدركوا الحقيقة كما هى ، لَمَا رأينا الزواج من فقر المهور كأنما يركب سلحفاة يمشى بها . . . ونحن فى عصر القطار والطيارة ، وقد كان هذا الزواج على عهد أجدادنا فى عصر الحمار والجمل — كأنه وحده من السرعة فى طيارة أو قطار .

* * *

حين يفسد الناس لا يكون الاعتبار فيهم إلا بالمال ؛ إذ تنزل قيمتهم الانسانية ويبقى المال وحده هو الصالح الذى لا تتغير قيمته . فاذا صلحوا كان الاعتبار فيهم بأخلاقهم ونفوسهم ؛ إذ تنحطّ قيمة المال فى الاعتبار ، فلا يغلب على الأخلاق ولا يسخرها . والى هذا أشار النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله لطالب الزواج : « التمس ولو خاتماً من حديد (١) . » يريد بذلك نفى المادّية عن الزواج ، وإحياءَ الروحيّة فيه ، وإقراره فى معانيه الاجتماعية الدقيقة . وكأنما يقول : إن كفاية الرجل فى أشياء إن يكن منها المال فهو أقلها وآخرها ، حتى إن الأخسّ الأقلّ فيه ليُجزِى منه كخاتم الحديد ؛ إذ الرجل هو الرجولة بعظمتها وجلالها وقوتها وطباعها ، ولن يُجزِىء منه الأقلُّ ولا الأخسّ مع المال ، وإن ملء الأرض ذهباً لا يُكَمِّل للمرأة رجلاً ناقصاً ؛ وهل تُتمّم الأسنان الذهبيةُ اللامعة يحملها الرجل الهرم فى فمه شيئاً مما ذهب منه ؟ وما عسى أن تصنع قواطعُ الذهب الخالص وطواحنُه لهذا المسكين بعد أن نطق تحاتُّ أسنانه العظميّة وتناثرُها أنه رجل حلّ البِلى فى عظامه . . . ؟

طنطا — مصطفى صادق الرافعى

(١) سنكتب — إن شاء الله — قصة المهر فى مقال آخر .